في يدها نار

www.elromancia.com

مرمورية

في يدها نار

عندما يغيب الأزواج، تعيش الزوجات على حافة التجربة... وعندما يحاول شخص عديم الضمير مثل مارتن غورارد استغلال ضعف امرأة، فلن تستطيع آني البقاء متفرجة، وخصوصاً أن زوجة أخيها هي هدف الإغواء وأن زواج أخيها معرض للانهيار...

... وقررت آني أن الوقت قد حان لتوقف ذلك المتوحش عند حده! ولكن كيف؟ هل تهدده؟ هل تقتله؟ هل...؟

... حسبت آني كل الاحتمالات في ذهنها عندما واجهته، ولكن ما لم تحسب حسابه أن يأخذها مارتن غورارد بديلة عن زوجة أخيها....

لبنان ٢٠٠٠ ل.ل. الإمارات. مصر ٤ ج. ليبيا
سوريا ٧٥ ل.س. قطر ٦ ر. المغرب ١٥ د. اليمن
الأردن ١ د. البحرين ٦٠٠ ف. تونس ٢ د. السودان
الكويت ٥٠٠ ف. السعودية ١٠ ر. عمان ٦٠٠ ب. العراق

١ ـ آن الأوان

لم تستطع آني منع نفسها من الشعور بالقلق وهي تنظر إلى ساعة غرفة الجلوس، التي كانت تشير إلى التاسعة والنصف.. لقد تأخرت لينور مرة أخرى.

كانت لينور، زوجة أخيها كورتيس، قد طلبت منها السكن معها منذ سبعة أشهر بعد أن ترك كورتيس لندن وسافر للعمل في البرازيل.. كانت لينور وحيدة، أو هكذا قالت، وكان لدى آني أسباب دفعتها إلى مغادرة منزل أبويها في (لينكولن شاير) والسكن مع لينور حتى عودة كورتيس عند انتهاء عقد عمله بعد سنتين.

كانت لينور، وهي في الثامنة والعشرين، امرأة مخلصة لعملها. تبدو حادة الطباع حتى يتعرف إليها المرء جيداً، ورغم أنها وآني كانتا تختلفان في الطبع، فإن الأمور بينهما كانت تسير على ما يرام.

لكن في الشهر المنصرم، بدأت لينور تتغير، من دون أن تعرف آني سبباً لذلك. كانت تعلم أن زوجة أخيها قد نالت ترقية في عملها لتصبح ضمن فريق الإدارة في نظام غورارد للسكرتاريا، وهذا مركز متقدّم في مؤسسة صناعات غورارد العملاقة، وأنها متلهفة لأن تدمغ مركزها الجديد بطابعها الخاص. وتعرف كذلك أن التوسع في مجال العمل، يفترض نوعاً من السرية والتكتم تجاه الخطط والبرامج المتعلّقة بهذا العمل. لهذا كان على لينور أن تعمل وقتاً أطول من السابق..

لكن رغم ذلك، كان هناك شيء مختلف فيها مؤخراً.

قامت آني تُعدّ لنفسها طعام العشاء بعد أن يئست من عودة لينور باكراً. وتوالت الصور في ذهنها، لقد كانت تقضي وقتاً طويلاً معها في الأشهر الماضية وكان كورتيس حاضراً في أحاديثهما معاً، وهي تذكر كيف أن اسم أخيها كان لا يغادر شفتي لينور.. أما اليوم، فقد تغيرت حالها وما عادت تأتي على ذكره إلا لماماً.. ومع أنها نادراً ما ترى لينور هذه الأيام سوى على مائدة الفطور، فقد عرفت أن لا وقت لديهما لبحث أي شيء. وأبعدت عن رأسها الفكرة معتقدة بأن لينور تهتم بعملها أكثر مما تفكر في زوجها.

لكن الفكرة عادت إليها، ولم تستطع هذه المرة إبعادها بسهولة.. لقد رفضت لينور الذهاب مع كورتيس إلى البرازيل.. ألم تفعل هذا؟ لكن السبب باعتقاد آني أن لينور سوف تشعر كأنها سمكة خارج الماء إذا سكنت في أي مكان غير المدينة.. وكان عمل كورتيس كجيولوجي مناجم يجعله مضطراً للانتقال إلى أماكن نائية من العالم، بينما كانت زوجته لا تستطيع الاستغناء عن حياة المدينة.. لهذا قرر، بعد ستة أسابيع من زواجه، أن من الأفضل أن تبقى لينور في لندن بدل أن تذهب معه إلى البرازيل. وكورتيس مخلص لعمله، بقدر ما زوجته مخلصة لعملها.

فهمت آني، مما كانت تخبرها به لينور من وقت لآخر، أنها لم تنزعج قط حين أصر كورتيس على إكمال عقده الذي وقعه قبل أيام من لقائه بها.

لكن كورتيس سافر.. وبقيت لينور، وهدفها الارتقاء في عملها إلى أعلى المراتب.. خلال أسبوع من مغادرته، اتصلت لينور هاتفياً بمنزل الأسرة، وردت آني لأن والديها كانا خارج المنزل.. وأحست

بشعور دافىء نحو لينور، التي بدت ضجرة ومشتاقة جداً لكورتيس، بحيث فتحت آني قلبها لها وقالت إنها أيضاً تحس بالضجر في حياتها العاطفية.

سألتها لينور بعد أن تذكرت اسم صديقها الذي رافقها إلى مكتب تسجيل العقود يوم زفافها من كورتيس:

ـ ألا تسير الأمور على ما يرام بينك وبين.. روبان؟

اعترفت آني بألم:

ـ لقد انتهينا.

ـ ألا ترينه؟

ـ ما زال رب عملي. لذا أنا مضطرة لرؤيته كل يوم. لكنني أريد أن تقتصر علاقتنا على هذا.

وقبل أن تتابع آني الكلام عن علاقتها مع روبان پيير، الذي اعتقدت أنه سيطلب منها الزواج، ثم صدمها عندما طلب منها أن تكون خليلته، فاجأتها لينور بقولها:

ـ لست بحاجة إلى هذا النوع من الرجال آني.. لقد كان وقحاً جداً بحيث قال لي يوم زفافي إنني إذا أحسست بالوحدة في غياب كورتيس، فإنه مستعد لزيارتي باستمرار في لندن.

شهقت آني مصدومة:

ـ وهل قال هذا حقاً؟

ـ ألا تعرفين أنه زير نساء؟

بدا واضحاً أن لينور واعية لأمور الدنيا أكثر من آني، التي عدا عطلة قضتها في إيطاليا، فإنها لم تبتعد يوماً عن بلدتها. وأكملت لينور:

ـ لقد عرفت أنه فاسق منذ عرّفتني به.

قالت آني:

ـ أصبحت أعرف هذا الآن.

قالت لينور التي لاحظت خيبة آني:

ـ أنت محتاجة يا عزيزتي لأن تغيري جوك قليلاً.. اسمعي.. لماذا لا تتركين عملك وتأتين إلى لندن؟ للحقيقة.. في وقت ما كنت سعيدة بالعيش وحدي، لكن الآن لم أعد كذلك أبداً.. يمكنني أن أستفيد من صحبتك.. ولسوف يسعد كورتيس كثيراً عندما يعلم أنك تعيشين معي.

كان من الصعب على آني أن تأخذ القرار بترك منزلها والانتقال للعيش في لندن، لكنها تحب أن تُسعد أخاها الغائب. ورغم تأكّدها من أن روبان بيير لن يكون صادقاً معها، إلا أنها تجد صعوبة في إخراجه من حياتها تماماً.

لم تكن متأكدة متى اتخذت القرار بذلك، فقد دخلت إلى مكتبه بعد بضعة أيام وقالت له إنها ستترك العمل.

صاح بدهشة:

ـ لكن.. لماذا.. حبيبتي؟

ظنت لوهلة أنه يحبها حقاً.. ثم رن جرس الهاتف على مكتبه، فرد على المكالمة متكلماً بنبرة حنونة.

شعرت بالغثيان، وانتظرته حتى انتهى من ترتيب موعده الغرامي الجديد.

قالت: «أريد ترك العمل لأنني أريد الذهاب إلى لندن لأعيش هناك».

كان هذا منذ سبعة أشهر.. ولكن آني ما زالت تتألم لأنها أدركت مدى حماقتها وسذاجتها عندما ظنت أنها، بشعرها المتموج الكستنائي القصير، وعينيها الخضراوين، تستطيع أن تحول روبان بيير من شخصٍ

عابث يهوى المغامرات، إلى إنسان صادق مخلص في حبه. كانت تظن أنها إذا حققت ذلك، فستسبّب للعابثين في هذا العالم صدمة قوية.

صحيح أنها لم تقابل أحداً منهم منذ وصولها لندن، لكنها تعرف أن هذا النوع ليس حصراً على الأقاليم. وما عليها سوى أن تنظر إلى رب عمل لينور لترى هذا. مارتن غورارد مشهور بهذا في رأيها.. إنه في السابعة والثلاثين، يحظى بسمعة كبيرة تسبقه إلى أي مكان، وتجعل روبان بيير ضئيلاً أمامه.

كانت الساعة الحادية عشرة والنصف حين نظرت آني مرة أخرى إلى الساعة، مما حرك شعورها بالقلق مجدداً، فلا يمكن أن تكون لينور ما زالت تعمل إلى مثل هذه الساعة المتأخرة.. ليلة أمس، وصلت منتصف الليل. لكن، لو كانت لينور قد أرادت تناول العشاء في الخارج مع زملائها، فلا شك بأن لزملائها منازل يرجعون إليها، فما الذي أخّرها هي؟

تزايد القلق في نفس آني حين تذكرت ما أخبرتها به لينور أثناء تناولهما الإفطار صباح اليوم عن أن مارتن غورارد يتردد إلى مكان عملها لمراقبة سير الأمور، وحتى أنه يمد يد المساعدة أحياناً.. لكن كان هناك فكرة تضغط على أعصابها، وترفض أن تبتعد.. هل أن أخلاقه مثل أخلاق روبان بيير، بحيث لن يمنعه شيء من محاولة العبث مع إحدى موظفاته؟

تمنت لو أن الفكرة لم تخطر لها، وقد حاولت جاهدة طردها من بالها، إلا أنها لم تنجح. لقد قالت لينور لها إن أجمل النساء فقط يخرجن مع مارتن غورارد.. وكانت لينور بشعرها الأسود الأملس، وعينيها السوداوين، تملك مواصفات الجمال المطلوبة...

أقنعت نفسها بأن لا مبرر لخوفها، فلينور اكتشفت سريعاً شخصية

روبان السيئة، وبالتأكيد لديها ما يكفي من الوعي لكي لا تكون ضحية مارتن. ومع هذا فإنها لم تستطع أن تمنع نفسها من القلق حول علاقة لينور برب عملها. وآني تعرف أن حبّ لينور لكورتيس يجعلها منيعة ضدّ محاولات كسب الرجال ودّها.. لكن كورتيس مسافر.

وفي هذه اللحظات تلاشت كل هذه الهواجس وشعرت آني بالارتياح حين سمعت مفتاح زوجة أخيها يدور في الباب، وأحست بالخجل من أفكارها السوداء المليئة بالشك..

سألت لينور:

ـ أما زلت مستيقظة؟

ـ ظننت أنك قد ترغبين في وجبة طعام سريعة، أو بشيء آخر.

ابتسمت لينور:

ـ لا أستطيع أن آكل شيئاً.. لقد جاء مارتن غورارد ونحن نستعد للرحيل.. ولكن عندما أخبره المشرف كم عملت جاهدة في إنجاز إحدى أكبر المهمات حتى اليوم، أصرّ على أن نخرج للعشاء.

عاد قلق آني مجدداً، وقالت بسرعة:

ـ أنت وهو فقط؟

أملت آني أن يكون السبب في ردة فعل لينور أنها لم تعتد على أن يسألها أحد عمّا تفعله.. لم ترد عليها فوراً، بل أخذت تنظر إلى البعيد وفي عينيها نظرة شاردة، وكأنها تتذكر مشهداً عكس على وجهها علامات الراحة والشعور بالفرح.. لا تدري آني ما الذي دفع بذكرى أخيها إلى الواجهة، ثم ها هو الرد يأتيها ولينها لم تسمعه:

ـ مارتن مرافق عشاء ممتع.

في الأيام القليلة التالية ازدادت مخاوف آني. فمنذ الليلة التي اعترفت فيها لينور أنها شاركت مارتن غورارد عشاءً حميماً، لم تعد

تتوانى عن القول إنه شخص رائع. ورغم أن لينور في الأيام الماضية لم تكن تكف عن ذكر اسم كورتيس والحديث عنه، فقد أصبحت الآن لا تنطق بجملة ليس فيها اسم مارتن.

بحلول مساء الخميس من الأسبوع التالي، أدركت آني ما كانت كل الدلائل تشير إليه: لينور مغرمة بمارتن غورارد! ففي الحادية عشرة من تلك الليلة لم تكن لينور قد عادت من عملها بعد.. ذهبت آني إلى النوم وهي لا تعرف كيف تتعامل مع هذه المشكلة.. ولكنها كانت تعلم أن عليها معالجتها لا سيما من أجل أخيها الحبيب..

لا شك في القول أنّ لينور ستعترض على تدخلها، فهي قد عاشت بمفردها قبل زواجها من كورتيس وكانت مستقلة تماماً لسنوات.. وقد أحست آني بواجب أخوي ينمو داخلها، ويدعوها للتدخّل قبل فوات الأوان، لكنها كانت تعرف أن ذلك لن يروق للينور التي ترفض أن يناقشها أحد بطريقة تدبيرها لشؤون حياتها.. وهي لا تريد أن تفتح أي باب للشجار معها.. لكن كيف لها أن تخذل أخاها ولا تناقش الموضوع مع زوجته؟

استلقت في الفراش، متمنية عودة كورتيس.. وصرفت النظر عن الكتابة إليه عن وساوسها، فكيف لها أن تفكّر بأمر مماثل؟ ثم ما الذي ستخبره به لو أنها كتبت إليه رسالة تحذير؟ حتى أنها لا تستطيع أن تفكر بينها وبين نفسها بأن زوجة أخيها قد تكون في الطريق إلى علاقة شائنة.

ومع صوت وصول لينور إلى المنزل، انقطعت أفكارها المقلقة واستغرقت في نومها.. لكن، ها هي الأحلام تنتابها مغلّفة بغمامة سوداء ترى فيها كورتيس غاضباً منها.. رأته يتصبب عرقاً.. متعباً من عمله في مجاهل البرازيل.. وفي عينيه نظرة لوم.. إنه آخر من يعلم شيئاً عن سلوك زوجته..

في الصباح كانت آني في المطبخ تحاول إنعاش نفسها بعد ساعات من النوم المضطرب. وبعد أن أعدّت لنفسها كوباً من الشاي، دخلت لينور مرتدية ثيابها ومستعدة ليوم عمل جديد.

سألتها آني:

ـ هل أعدّ لك القهوة؟

شكرتها لينور:

ـ لدي وقت لفنجان واحد.

وضعت محفظة أوراقها على كرسي، وأخذت تراجع محتوياتها. وضعت آني فنجان القهوة أمام لينور وقالت:

ـ لا شك بأنك مرهقة.. أعرف هذا، بسبب سرية عملك، يجب أن يبقى الانتقال إلى مكاتب أخرى سرّياً..، لكن هل سيطول هذا الأمر كثيراً؟

ارتشفت لينور القهوة بهدوء:

ـ ليس لزمنٍ طويل.

ثم تلاشت بسمتها، وسألتها:

ـ هل كتبت لكورتيس مؤخراً؟

ـ أنا أكتب إليه دائماً.

وحبست آني سؤالاً تبادر إلى ذهنها: «هل كاتبته هي وأخبرته ببقائها وقتاً طويلاً في العمل؟»

فجأة سألت لينور:

ـ هل ذكرت لكورتيس شيئاً عن.. مارتن غورارد؟

أجفلت آني، فقد أدهشها السؤال المفاجئ.. ونظرت إلى لينور بقلق.. لكن مع ذكر لينور للموضوع علناً، كان عليها أن تسأل، وأن تخاطر بالتدخل في شؤون لينور.

ـ وهل هناك.. شيء.. أخبره إياه؟

استدارت لينور لتأخذ حقيبة أوراقها. وقالت لها بحدة:

ـ أوه.. كوني في مستوى عمرك الحقيقي آني!

خرجت لينور.. وأغلقت الباب خلفها بطريقة جعلت آني تدرك أنها كانت محقة في مخاوفها من ردة فعل لينور حيال أي انتقاد أو ملاحظة منها...

وفي ذلك اليوم حاولت آني جهدها أن تكون في مستوى سنواتها الاثنتين والعشرين كما نصحتها لينور بأن تفعل. لكن، بينما هي تدقق في أوراق الإملاء المكدّسة أمامها، وتعيد طباعتها، أحست بتعاظم سخطها.

في الواقع، لقد عاشت حياتها محاطة بالحماية، رغم أنها مرت بتجربة صعبة مع روبان بيير الذي فتح عينيها على الجانب الآخر من الحياة، ذلك الجانب الخالي من البراءة.. لا تزال تذكر كيف حاول أن يسعى بها إلى غرفة النوم دون أن يزين يدها بخاتم الزواج.. إنها تحمد الله على نجاتها من هذه التجربة. ربما يعتقد الآخرون أنها من الطراز القديم، لكنها لا تبالي بذلك، فبالنسبة لها، قسم الزواج مقدس ويجب أن يبقى كذلك.

هدأت آني قليلاً بعد ظهر ذلك اليوم حين توصلت إلى الاقتناع بأن لينور لا تزال تحب كورتيس، وإلا لماذا أبدت قلقها حول ما تكتب إليه؟

مع هدوئها وإحساسها بأنها أفضل حالاً، بدأت تفكر بأنها لا شك مخطئة.. وأن تلبية لينور لدعوة مارتن إلى العشاء أمر عادي لا يدعو للريبة.. ولا عجب أن يكون اسمه دائماً على شفتي لينور.. أليس كذلك؟ وحاولت تبرير موقف زوجة أخيها فأسرّت لنفسها: عملها هو

كل حياتها في غياب كورتيس، بالإضافة إلى ذلك فمارتن موجود دائماً لمراقبة العمل والاطلاع على سير الأمور.. لذا ما هو الذي يمكن للينور أن تتحدث عنه غير هذا الشأن؟ لكن حين تذكرت قول لينور «كوني بعمرك الحقيقي»، عاد القلق إليها مرة أخرى.

جلست آني مكتئبة في الصباح التالي تشرب قهوتها، وقد بدأت تفكر فيما لو كان من الأفضل لها أن تترك السكن هنا.. على الأقلّ سوف تتحرّر من القلق حول الوقت الذي تعود فيه لينور إلى المنزل.. فقد دقت الساعة الثانية هذا الصباح قبل عودتها!

قالت لينور وهي تنضم إلى آني، أنيقة كعادتها حتى في روب المنزل:

ـ شكراً لله على صباح أيام الآحاد.

تمتمت آني:

ـ لقد عملت إلى وقت متأخر جداً ليلة أمس.

ـ أوه.. لم أكن أعمل طوال الوقت.. فقد ذهبت إلى حفلة.

ـ حفلة؟ هل كان فيها أناس كثيرون؟

عادت إليها مخاوفها عندما لمحت ابتسامة غريبة على وجه لينور التي أجابت وهي تتجه إلى الحمام:

ـ ما يكفي.

غسلت آني فنجان قهوتها وتمنّت مجدداً لو أن أخاها يعود من سفره حالاً.. كانت تحاول جاهدة أن تقنع نفسها بأن استنتاجاتها خاطئة.. لكن ما حدث بعد ذلك أعادها إلى دوّامة قلقها.. فقد دق جرس الباب، وحين فتحت وجدت رجلاً يحمل باقة كبيرة من الأزهار، استلمتها منه، وهي تعلم أن المرسل لا بد أن يكون مارتن غورارد، ولا بد أن هذه بطاقته أيضاً.. أدارت البطاقة ناحيتها، وذهلت حين قرأت

كلماته الموجهة إلى لينور: «شكراً على كل شيء».. !

حاولت أن تمنع نفسها من التوصّل إلى المغزى الذي توحي به عبارة «شكراً على كل شيء» لكنها لم تستطع أن تتجاهل البرهان الحي الذي يؤكد أن مارتن غورارد كان في الفراش مع لينور..

تهلل وجه لينور بهجة عندما أعطتها آني الباقة بصمت..

ـ «كم هذا جميل!» علّقت لينور..

حاولت آني جاهدة أن تكتم السؤال الذي كان يلحّ عليها: لماذا أرسل مارتن غورارد الزهور؟ وزعت الزهور على وعاءين داخل غرفة الجلوس تاركة أمام آني البطاقة التي تقول «شكراً على كل شيء».

حين خرجت زوجة أخيها مساء الأحد، انزعجت آني كثيراً من الأفكار التي كانت تشغل بالها حول وجود لينور مع مارتن مجدداً.. حتى أنها بحثت عن شيء يريحها فاتصلت هاتفياً بأبويها. لكن قلقها تزايد أكثر حين لم يرد أحد على اتصالها.. عندئذٍ خطر لها أن تزورهما في نهاية الأسبوع المقبل.. ستحاول عندها أن تقنع لينور بالسفر معها.

صباح الثلاثاء سنحت لآني الفرصة لترى لينور لوقت كافٍ.. فعودتها المتأخرة مساء الأحد، اضطرتها إلى الخروج بسرعة صباح الاثنين، وكذلك تأخرت تلك الليلة... وهكذا كان صباح الثلاثاء هو الفرصة الأولى لها لتقترح فكرتها.

كانت تعلم أن عليها أن تكون حذرة في تقديم اقتراحها، فقالت بهدوء:

ـ لقد فكرت أن أزور والدي عند نهاية هذا الأسبوع، وحبذا لو تأتين معي.

عادت النظرة الغريبة التي رأتها من قبل، إلى عيني لينور، التي أجابت:

ـ ألا يمكنك تأجيل الزيارة إلى نهاية الأسبوع القادم؟

امتلأ قلب آني بهجةً وهي تفكّر في أن لينور تقترح هذا بغية مرافقتها. . ابتسمت ناسية مخاوفها:

ـ لا بأس في هذا بالنسبة لي!

لكن سرعان ما اكتشفت أنها مخطئة حين تكلمت لينور ببطء:

ـ عظيم. . ستشعرين بأنك مع والديك أقل عزلة مما أنت عليه هنا، إذ ستضطرّين للبقاء وحيدة هنا إن لم تذهبي لزيارتهما.

ردت مرتجفة:

ـ وحيدة؟ ألن تكوني هنا؟

ـ أنا مسافرة أيضاً في عطلة نهاية الأسبوع تلك.

كان هناك نبرة تحد ودفاع في صوت لينور، مما دفع بموجة من الشك إلى رأس آني. . واجتاحتها موجة من أفكار سوداء لم تجد سبيلاً لتجاهلها، سواء أحبت لينور هذا أم لم تحب.

ـ وهل أنت مسافرة وحدك؟

ردت لينور بلهجة التحدي ذاتها:

ـ سألني مارتن بالأمس عما إذا كنت أحب قضاء عطلة نهاية الأسبوع في باريس، فوافقت. . وسنسافر بعد نهاية دوام العمل يوم الجمعة القادم.

حدقت آني مشدوهة في وجه لينور:

ـ أنت. . ذاهبة إلى باريس! . . مع مارتن غورارد! لقضاء عطلة أسبوع؟ لكن. . لا يمكنك هذا!

ـ ومن الذي سيمنعني؟

اعتادت أن تكون سيدة نفسها لوقت طويل. . ولن تهتم كثيراً بمن يعارضها.

أدركت آني، رغم صدمتها من تصرف لينور المتحدي، أنها سوف تزيد الموقف سوءاً لو ذكّرتها بأنها زوجة أخيها كورتيس. وهذا لن يساعد أبداً في تغيير رأيها. . وهكذا ابتلعت كلمات الاحتجاج وحاولت الرد بهدوء:

ـ لكنك تعرفين أن مارتن غورارد ليس جاداً معك. . وتعرفين أيضاً أنه سيتركك بعد أن يحصل على مراده، ثم يذهب إلى امرأة أخرى. . لقد أخبرتني عن سمعته بنفسك. . قلت. .

قاطعتها باختصار:

ـ هذا ما قلته. . وأنا كنت أعرفه من سمعته فقط. أما الآن، وبعد أن مكّنتني الترقية من التعرّف إليه عن كثب، بتُّ أعرف أن لديه. . شيئاً مميزاً.

لم تستطع آني سوى أن تهتف بحسرة:

ـ لكن ماذا عن كورتيس؟!

لقد اعتقدت لينور في الماضي أن لدى كورتيس شيئاً مميزاً كذلك، وإلا كيف تمكن من أن يجعلها توافق على الزواج منه في برهة قصيرة من الزمن؟

قالت لينور:

ـ لا أتوقع أن يعجبك هذا آني. . لكن كورتيس لن يتوقع مني البقاء في المنزل كل ليلة.

ـ هذا صحيح. . لن يتوقع منك هذا. . لكن هناك فرق كبير بين الخروج لتسلية بريئة، وبين ما أنت مقدمة عليه. .

توقعت من لينور أن تثور لتعليقها الجريء، لكن لينور أشاحت بوجهها عنها، وقالت بهدوء:

ـ لا أستطيع منع نفسي.

أحست آني بالهزيمة.

ـ حتى وأنت تعرفين أن مارتن غورارد يواعد عشرات النساء غيرك في الوقت عينه؟

ـ أعرف أن لديه نساءً أخريات.. لكن لا يهم.. ما يهمني هو أن أشعر عندما أكون معه، بأن لا وجود للنساء الأخريات.

جمعت حقيبة أوراقها مشيرة بذلك إلى أنّ النقاش في الموضوع قد انتهى.

لم تعرف آني كيف استطاعت أن تكمل عملها ذلك النهار.. فتفكيرها لم يكن مركزاً على العمل.. لقد اضطرت إلى استيعاب الصدمة التي سببتها لينور لها ذلك الصباح.. لكنها عرفت أن أخاها، رغم حنانه ورقّته، لن يغفر لزوجته سلوكاً مشابهاً.

كانت لا تزال مشغولة بتلك الأفكار القلقة، حين وصلت الشقة ولم تكن لينور فيها.. قد تكون لينور على علاقة بمارتن غورارد الآن.. أما إذا لم يكن ذلك صحيحاً، فبالتأكيد يمكنها أن تفعل شيئاً قبل يوم الجمعة، لمنع حدوث هذا الاحتمال. أما لو ذهبت لينور مع ذلك الرجل الفاسد فلن تكون العلاقة بينهما فحسب على طريق النهاية، بل إن زواجها أيضاً سيكون على الطريق عينه.. مهما كانت لينور عليه، فهي صادقة في الأصل مثل كورتيس، وإذا لم تكتب له بعد عما يجري، فلا يمكن لها أن تخبىء شيئاً عنه لمدة طويلة. وفجأة قطع أفكارها وهواجسها رنين جرس الهاتف، وكانت أمها هي المتحدثة.

قالت آني بعد التحيات:

ـ اتصلت بك يوم الأحد ولم أجد أحداً.

ردت بلايت كابلان:

ـ نحن نخرج بين وقت وآخر، بعد أن تقاعد والدك. هل اتصلت

لشيء خاص؟

تمنت لو تستطيع الإفضاء بقلقها إلى أمها، لكن الوفاء لكورتيس منعها:

ـ لا لشيء.. لمجرد الاطمئنان!

ـ وكيف حال لينور؟

ـ بخير.. إنها تعمل جاهدة.. و..

ـ كانت ترقيتها أمراً جيداً.. مع أنه من المؤسف ألاّ ترافق كورتيس إلى البرازيل.. يبدو لي هذا جريمة لأنهما يحبان بعضهما كثيراً.

تمتمت آني بضع كلمات محاولة تغيير الموضوع، خشية أن يزلّ لسانها بشيء. وقالت إنها تفكر بالمجيء إلى البلدة لقضاء عطلة الأسبوع قريباً. وردت الأم:

ـ حسناً، لا تأتي هذا الأسبوع، فخالتك ڤيڤيان مريضة، وسوف نقضي عندها بضعة أيام ابتداءً من السبت القادم.. بعد ذلك، آمل أن أقنع أباك بأخذي إلى الساحل لقضاء عطلة.

ـ في شباط!

ـ سيكون شهر آذار قد حل يومها، وهذا هو الجميل في تقاعد والدك المبكر.. فنحن لن نضطر إلى التفكير بحذر كيف سنصرف علاوة العطلة.

ودعتها آني، وقد ارتاحت قليلاً لفكرة أن الحياة بالنسبة لوالديها ما هي إلا عطلة طويلة من الآن وصاعداً.

كان غضبها من مارتن غورارد يزداد، وتمنت لو أن أخاها الحبيب هنا.. فهو بكل تأكيد لن يجلس مكتوف اليدين يسمح لذلك الشخص بتدمير زواجه.

تخيلت في لحظة ابتهاج، كورتيس يسعى إلى مارتن غورارد

ويطرحه أرضاً بضربة من يمينه على فكه. . لكن سرعان ما عادت إلى الواقع، فأخوها ليس هنا، ولا يمكنها أن تستدعيه. . وحتى لو أرسلت تستدعيه، فسوف تتمكن لينور من الذهاب إلى باريس والعودة منها قبل أن يتلقى كورتيس رسالتها. . على أي حال، لا بد أن هناك شيئاً يمكنها أن تفعله لمنع لينور من السفر.

لنصف ساعة بقيت آني تفتّش عن طريقة تمنع بها لينور من السفر. . وكانت تعلم أنها أكثر عناداً من كورتيس حين تصمم على شيء. . لكن بمرور الوقت عرفت، وبشيء من الإحباط، أن لا شيء مما فكرت به يضمن أن تغير لينور رأيها.

تركت مقعدها بغضب، وهي واثقة من أن الأفكار وحدها لن تجلب كورتيس ليلكم مارتن على أنفه. . ولم يعد أمامها إلا أن تذهب بنفسها وتفعل هذا. .

فجأة جمدت آني في مكانها. . هذه ليست فكرة سيئة! صحيح أنها لن تستطيع أن تلكمه، لكن يمكنها أن تواجهه ببعض الحقائق.

مع مرور الدقائق، أدركت آني أنها، وبصفتها شقيقة كورتيس، يجب أن تفعل شيئاً! رغم أن لينور لن تسامحها أبداً لو ذهبت إلى مارتن غورارد، وافتعلت فضيحة في مكتبه. . لكن ما الذي يمنعها من الذهاب إلى بيته؟

في رأيها، لقد آن الوقت لأن يوقف أحد ذلك المتوحش عند حدّه.

* * *

٢ ـ البديلة

دخلت آني، على غير عادتها، تتطفل على غرفة زوجة أخيها. لكن إحساسها بالذنب تلاشى حين وجدت على طاولة الزينة البطاقة التي أرسلها مارتن غورارد مع الزهور.

حين انتهت من تسجيل عنوان منزله في «هيرتفورد شاير» ورقم هاتفه، أحست بالدموع تلسع عينيها. . فقد رأت صورة كورتيس الصغيرة على الطاولة بقرب السرير، وازدادت قناعتها بوجوب التدخل. فبالرغم من تصرفات لينور الخاطئة فلا شك بأن وجود هذه الصورة يعني أنها لا تزال تحبه.

عزمت آني على الذهاب لمقابلة مارتن غورارد إذا لم تستطع إقناع لينور بالعدول عن السفر معه بعد يومين. حاولت عدة مرات أن تثني لينور عن عزمها. . لكن دون جدوى.

كانت آني مقتنعة بأنها إذا ذهبت إليه وهي لا تعرف بأي أسلوب تواجهه، لن تحصل على نتيجة. إذا فاجأته بصوت مرتفع، قد يحتد ويغضب، ثم يصمّم أكثر على أخذ لينور معه. . أما إذا واجهته بهدوء، فقد تتمكن من نفض الغبار عمّا تبقى في نفسه من شرف. . كما وقد تجعله يرى أن سلوكه هذا مع لينور المتزوجة، وزوجها غائب على بعد آلاف الأميال، ليس بالمسلك النبيل.

نهضت آني من الفراش صباح السبت وقد توصلت إلى أن

طريقة تفكيرها في سير الأمور ليست سليمة، فغياب كورتيس هو الذي جعل مارتن غورارد يستغل زوجته.

عند دخولها المطبخ قررت أن عليها المحاولة مع لينور مجدداً، رغم أن هذا يشبه ضرب رأسها في جدار صلب.

بعد ربع ساعة، حملت القهوة والتوست، وهو ما اعتادت لينور تناوله في الصباح، وذهبت لتطرق بابها بخفة، ثم دخلت.

كانت لينور ما تزال في سريرها.. فابتسمت لرؤية آني تحمل الصينية:

ـ ظننت أنني سمعت صوتك وأنت في المطبخ.

قالت آني:

ـ أنت تعملين جاهدة.. فكرت أنك قد تحبين تناول الفطور وأنت في السرير.

ـ أنت رائعة.

قبل أن تتمكن آني من إيجاد الكلمات المناسبة أعلنت لينور:

ـ سيكون السفر يوم الجمعة القادم.. كم أنا بحاجة إلى مثل هذا التغيير.. هل أخبرتك أنني لن أعود قبل يوم الاثنين، على فكـ..

صاحت آني تقاطعها:

ـ لا! لينور.. لا! لا يمكنك الذهاب.. أنت تعلمين كم يحبك كورتيس!

ـ وأنا لم أكن أعيش في دير قبل أن أتزوجه!

ـ لكنه.. لن يسامحك.. إذا..

ـ وهل تنوين أن تكتبي له؟

عرفت آني من ردة فعل لينور العدائية، أنها لن تتمكن من التأثير عليها وإقناعها بالعدول عن رأيها.

وحده التفكير بكورتيس منع آني من الخروج يوم السبت ذاك للتفتيش عن شقة أخرى تسكن فيها.. ولأجله فقط يجب أن تبقى حيث هي بجوار زوجته.

لقد قامت بكل ما في وسعها لإقناع لينور بإلغاء سفرها إلى باريس. يوم الاثنين، حين عادت لينور إلى المنزل مبكرة على غير عادتها، اتجهت إلى غرفة نومها وهي تقول:

ـ الأفضل أن أذهب لأوضب أمتعتي.

عندها، عرفت آني أنّ الوقت حان للذهاب إلى الجهة الأخرى من لندن.. إلى «هيرتفورد شاير».

نادت لينور وقالت تخبرها:

ـ إحدى زميلاتي في العمل دخلت المستشفى لإجراء عملية جراحية.. سأذهب لزيارتها.

لم تكن تكذب في شأن الزميلة في المستشفى، لكنها حين أصبحت خلف مقود سيارتها الصغيرة القديمة، لم تكن تنوي الذهاب في أي طريق يقودها إلى المستشفى.

كانت تأمل وهي تسرع في الشوارع، أن لا يكون مارتن ولينور قد تواعدا على اللقاء هذا المساء، وأنه لا يواعد امرأة أخرى كذلك.

صحيح أنها لم تتمهّل، لكن بسبب استدارة خاطئة عند هذا المنعطف أو ذاك، مضت ساعتان قبل أن تتوقف أمام مبنى حجري الواجهة يدعى «كلارندون هاوس».. ومع قليل من الحظ ستجد مارتن غورارد في منزله.

عندما مدت يدها إلى الجرس تدقه توقعت أن يفتح لها أي شخصٍ إلاّ هو.. لكن حين انفتح الباب وأطل منه رجل طويل أنيق الهندام، عرفت على الفور أنه الرجل الذي جاءت لتراه.

حاولت جاهدة أن تسيطر على رغبتها في مهاجمته فوراً على عتبة داره، وقالت بأدب:

ـ أتساءل عما إذا كنت أستطيع رؤيتك لبضع دقائق.. أنت السيد مارتن غورارد؟

هز رأسه، مما شد انتباهها إلى التسريحة الأنيقة لشعره الأشقر.

رد بصوت ساحر وبنبرة هادئة:

ـ لدي بضعة أشياء أقوم بها.. لكنني واثق من أنني قادر على منحك بعض الوقت.

«فليساعدني الله»! قالت في نفسها عندما وجدت نفسها في الداخل، تقف في الردهة.. عندما لم يبادر إلى توجيهها نحو غرفة الاستقبال، أدركت أنه ينتظر منها أن تقدم له نفسها.

ـ أنا آني كابلان.

تمتم وهو يتطلع إليها باهتمام:

ـ إحدى الموظفات لدي تحمل الاسم عينه.

ـ أنا شقيقة زوج لينور.

لاحظت عيناها الخضراوان، كم هو قادر على ضبط ردات فعله حيث لم يرف له جفن.. لكن طيف ابتسامة بدا على شفتيه عندما اقترح عليها أن تلحق به.

أدخلها إلى غرفة استقبال كبيرة جدرانها مكسوة بألواح من خشب السنديان.. عاودها الشعور بسحر صوته حين دعاها للجلوس على واحدة من الأرائك الموزعة في أرجاء الغرفة، ثم سألها ببرود، دون أن يبدو عليه أي أثر للانزعاج، ماذا تريد أن تشرب.

ردت بأدب:

ـ لا شيء، شكراً لك.. إن لينور هي زوجة أخي كورتيس.

قال دونما تلعثم:

ـ لم يحصل لي الشرف بمقابلته.. هل ترغبين في خلع المعطف؟

ـ لن أؤخرك كثيراً.. لا بد أنك خمّنت سبب وجودي هنا.

أدركت أن لا شيء سيهزّ كيانه! ولم تندهش من ابتسامته الواثقة الخالية من أي انزعاج. وظهر سحره مجدداً، ليقول بلهجة مرحة:

ـ أحاول أن أخمّن.

وعرفت أنها ستواجه صعوبة كبيرة لتقول كل ما تريده دون أن تفقد أعصابها.

قالت:

ـ أنا هنا بسبب رحلة باريس.

لم يرف له جفن.. حتى بعد علمه أنها تعرف بأمر رحلتهما إلى باريس.. بل على العكس فإنه قد ثبّت نظره على وجهها وراح يتفرس بقسماته ملياً، مما أشعل غضبها مجدداً.. وحين تحرك نحو الطاولة حيث إبريق القهوة الكهربائي، أكد لها أنه يعتبر أن المقابلة ستأخذ وقتاً أطول مما كان يتوقع.

لكنه أردف على الفور بطريقة متباهية:

ـ ستكون الرحلة يوم الجمعة كما أعتقد.

يا له من حقير! يعرف جيداً أن الموعد هو الجمعة.. لكنها فهمت بإحساسها الداخلي أن ثقته بنفسه ستشجعها على قول ما تشاءه.. خاصة أن هذه المقابلة ليست من تحضيره.

تلاشت لديها كل نية للتوسل إليه بأسلوب لبق يحرك ما بقي فيه من إحساس بالشرف.

صاحت غاضبة:

ـ تعرف تماماً أن السفر هو يوم الجمعة هذا.

لكن تصرفه لم يتغير. . رغم أن عينيه كانتا تبرقان، وليس من أثرٍ للابتسام على وجهه. . قال بلهجة باردة:

ـ يبدو لي أنك تفضلين بقاء لينور في المنزل.

ذعرت آني لعجرفته الباردة، وذهلت لقدرته على النظر إليها ببرود ودون قلق. وهي شقيقة الرجل الذي ينوي السفر مع زوجته.

صرخت فيه قائلة:

ـ يا إلهي! أليس لديك ضمير أبداً؟

بادر إلى صب فنجان قهوة وهو يسألها بصوت هادىء:

ـ وهل يجب أن يكون لي ضمير؟

ـ ألا تعتقد أن سفرك مع زوجة أخي من أجل قضاء عطلة نهاية أسبوع أمر خاطىء لا يقوم به إلا إنسان عديم الضمير؟

ارتجف الإبريق في يده، وانسكبت القهوة على الطاولة، كان هذا أول دليل على ردة فعل منه تجاه كلامها. لكن، وبعد أن نهضت عن مقعدها غاضبة، وجّه نظره إلى عينيها المحمرتين. . وعلق بالبرود ذاته:

ـ حسن، حسن. . أنت غاضبة جداً. . ألستِ كذلك؟ تُرى هل أخبرتك لينور عن الرحلة؟

ـ لقد ارتبت بأمر ما يحدث عندما أرسلت تلك الزهور لتشكرها على «كل شيء».

كانت لا تزال غاضبة عندما رأت أنه تذكّر إرسال الزهور إلى لينور، لكنها سرعان ما أحست بالإحباط حين أخذ زمام المبادرة من يدها وسألها متى اعترفت لها لينور بالرحلة إلى باريس.

ثم أضاف مستفسراً:

ـ هل قمت بمواجهة زوجة أخيك عندما وصلت باقة الزهور؟

وجدت نفسها تتلعثم:

ـ أنا. . لم أستطع.

فهمت من نظرته الحادة إليها أنه بات يعلم مدى حساسيتها تجاه هذا الأمر:

ـ لقد تطوعت لينور بأن تقول لي إنها ذاهبة معك إلى باريس يوم الجمعة. . ومن دون علم زوجها.

خاب أملها عندما لم تجد دليلاً لانزعاجه. .

ـ يبدو لي واضحاً كم تحبين أخاك، ولا شك في أن لينور تعرف جيداً أنك لن تجرؤي على تبديد أحلامه وهو يكدح بعيداً في «باتا غوينا».

صححت له غاضبة:

ـ في البرازيل.

وعرفت أنه فهم من ردها السابق (لم أستطع) أنها لا يمكن أن تؤلم كورتيس. وأكملت:

ـ كورتيس في البرازيل. . يا إلهي! أمثالك من الرجال يشعرونني بالغثيان.

ـ وهل لديك خبرة بأمثالي من الرجال؟

ـ لدي من الخبرة ما يكفي لأعرف أنك متى نلت ما تريد، سترمي لينور دون إبطاء. . وستذهب إلى المرأة الأخرى التي تلفت نظرك. . أنت من النوع الذي لا يأبه بتسبيب الألم للناس ما دامت الأزهار في حديقته وردية. .

قال ساخراً:

ـ لقد فاجأني رأيك بي. .

لكن آني، وقد فقدت سيطرتها على أعصابها، لم تكن قد انتهت

بعد.

- لا يهمك أبداً أن زواج أخي سيتحطم حين يعلم..

- إذن.. أنت تنوين إخباره؟

- لا أنوي أن أقول له.. لكن..

- لكن.. ستتأكدين من أن يعرف؟

بطريقة ما، كانت تدافع عن نفسها، وقد أزعجها هذا.. لكن ما أزعجها أكثر هو أخذه زمام المبادرة منها:

- لم أقصد أن ألمّح لهذا.. ما عنيته هو أن كورتيس سيعرف دون شك أن لينور لم تكن مخلصة له، لأن علاقتهما من النوع الصادق.

رد باختصار:

- هذا ما يبدو لي.. تُرى هل تعرف لينور أنك هنا؟

- بالطبع لا! قلت لها إنني ذاهبة لأزور زميلة مريضة في المستشفى.. رغم أني لم أكن مضطرة للكذب.. فتفكير لينور مشغول بك، وبما ستوضبه للرحلة من ثياب وعلى الأرجح أنها لم تلاحظ غيابي.

قال بسخرية:

- ومن الطبيعي أنك نصحتها بعدم السفر معي رغم أنك تعلمين أنني سأعيدها إلى منزلها بعد.. أن أنتهي منها.

حبست أنفاسها شاهقة:

- أيها الحقير! ها أنت تكشف لي أنها لا تعني لك شيئاً.

وابتلعت ريقها بصعوبة كبيرة.. وحين فكرت بالهدف من مجيئها إليه، عاودت السيطرة على أعصابها وقالت:

- أرجوك.. دعها وشأنها سيد غورارد.. أنا أعرف لينور جيداً، فهي ما كانت لتسلك هذه الطريق لولا تأثيرك عليها.. وأنا متأكدة من

أنها ستعود إلى تعقلها وتستقر ثانية.. لو أنك فقط تلغي رحلة باريس.

تحولت نبرة صوتها إلى ما يشبه التوسل وهي تنهي كلامها.. لكن عندما رأت عينيه المثبتتين على وجهها، عاد إليها الأمل مجدداً بسبب التفكير الجاد الذي بدا على أساريره، فظنت أنها أخيراً وصلت إلى هدفها.

لكن سرعان ما تلاشى ذلك الأمل عندما رأت زاويتي فمه تتحرّكان نحو الأعلى، لرسم ابتسامة مليئة بالهزء والسخرية.. وقالت في سرّها إن هذا النوع من الرجال لا يغير أخلاقه أبداً.. شعرت بالذُل والغضب لأنها أهانت نفسها عندما توسلت إليه.. لكنه رد عليها بلطف:

- لكن لماذا ألغي رحلة باريس؟ كنت أتطلع بشوق إلى..

قاطعته غاضبة من طريقته في إذلالها:

- لا شك عندي بهذا! لكن لا بد من أن هناك عشرات النساء تستطيع أخذهن إلى باريس.. ولا أعتقد أن لينور يجب أن تكون إحداهن..

ظهر غضبها بوضوح له، فعادت سخريته مجدداً:

- هل كنت تتلصصينَ علي.. لائحة النساء المتوفرات عندي؟

همست من بين أسنانها:

- اللعنة عليك.. لماذا لا تأخذ غيرها؟ إن أي واحدة من اللواتي تعرفهن تناسبك بكل تأكيد.

انتبهت فجأة إلى أن كلامها هذا يُقلل من قيمة لينور، وهذا لم يكن في نيتها، فاضطرت للدفاع:

- لا أقصد أن ألمح إلى أن لينور ليست جميلة.. إنها جميلة جداً.. لكن.. لكنها..

- لكنها ملتزمة؟

دون أن يترك لها مجالاً للرد، تابع وهو يتفرس جيداً في وجهها:

ـ بالنسبة لهذا الأمر.. تبدين رائعة.. آنسة كابلان.

ودون أن يحوّل نظره عنها أكمل بما يشبه الهمس:

ـ مضى زمن طويل لم أر فيه بشرة تماثل بشرتك.. ورغم أنني أجدك وقحة سليطة اللسان، سآخذك أنت لو أحببت..

صدمت آني وبدت لها أن النهاية اقتربت..

لقد أتت إلى «كلارندون هاوس» بهدف واحد.. محاولة إقناع هذا الرجل أن يعدل عن نيته في أخذ لينور معه إلى باريس.. أما أن يشير إليها باستهزاء أنها قد تكون هي رفيقة سفره بدلاً من لينور، فهذا ما جعلها تدرك بوضوح أنها إذا بقيت هنا تحاول التوسل إليه، فإن وقتها سيضيع سدى لأنه رجل لا يفهم معنى كلمة الشرف..

رمت كلماتها في وجهه باحتقار وترفّع:

ـ مهما ضعفت حصانتي تجاه أمثالك، فلن يأتي اليوم الذي تكون فيه رفيقي إلى أي مكان.

ثم استدارت بسرعة، دون أن تنظر إليه:

ـ سأخرج بنفسي، دون أن ترافقني.

ظنت أنها قامت بكل ما في وسعها، للحفاظ على زواج كورتيس.. ورغم ذلك فإنها عندما كانت تستلم رزمة الملابس العائدة من المغسل صباحاً، قبل مغادرة لينور، تساءلت: هل هناك شيء آخر يمكن أن تفعله؟

بحلول موعد الغداء، كانت آني لا تزال تبحث في نفسها عن ذلك «الشيء الآخر». ولكن شيئاً من الاطمئنان خالجها لأن لينور لم تتشاجر معها بسبب تجرؤها على مقابلة مارتن غورارد.

لكن، يجب على أحد أن يتدخل! واتجهت أفكارها إلى ذلك

المتعجرف مارتن غورارد. حتى أنه لم يقل لها إنه يحب لينور، ولم يفصح عن أية مشاعر نحو زوجة أخيها، وإلا كيف يمكنه القول سواء مازحاً أوجاداً «سآخذك أنت لو أحببت»؟

استغرقت آني في بحر الأفكار تبحث عن طريقة لإفشال خطط لينور.. وبينما هي كذلك وجدت نفسها أسيرة الفكرة التي زرعها فيها مارتن وهي أن تحل هي مكان لينور.. ماذا لو جعلت مارتن غورارد يظن أنه سيأخذ آني كابلان معه لعطلة نهاية الأسبوع؟ وتابعت التفكير.. كل ما يجب أن تفعله، هو أن تجلس بانتظار أن يأتي ليأخذها، حتى إذا ظهر «كازانوفا» في الشقة وقال للينور «لم آتِ لآخذك أنت بل آني» فإنها سرعان ما تتغلب على تعلّقها به..

أعجبتها هذه الفكرة جداً.. لكنها تذكرت تجربتها المؤلمة في علاقتها بروبان بيير.. وبالرغم من أنّ لينور أكثر حكمة مما كانت هي عليه، فحين يصل الأمر إلى صاحب اللسان العذب الساحر، يستطيع مارتن إخفاء روبان في قبضته كما يخفي الساحر الأرنب.. ألم تقل لينور بنفسها: «أعرف أن لديه نساء أخريات.. لكن هذا لا يهمني»؟

دخلت آني الشقة تلك الليلة وقد فهمت أنها حتى وإن نجحت في جعل مارتن يرافقها هي إلى باريس، فإنه أكثر مكراً من أن يأتي إلى الشقة ليأخذها.

عادت إلى التفكير بهذا الأمر مجدداً وتساءلت عما إذا كان يمكنها أن تثق به في المحافظة على أي وعد يقطعه بأن يترك لينور وشأنها.. كانت الفكرة قد بدأت تتركز في رأسها، وبدأت تشعر بالقلق في نفسها.. فحتى لو قطع لها وعداً، فهي تعي أنه سوف يثور غضباً إذا اكتشف أن الذهاب معه إلى باريس هو كل ما ستقدمه له..

نظرة واحدة إلى لينور، حين عادت إلى المنزل، كانت كافية لتزيل

من نفسها كل القلق.. مجرد نظرة سريعة إلى زوجة أخيها الجميلة المتأنقة، كانت كافية لأن تظهر لها مدى غرقها في عالم الخيال والأفكار.. إن كل تأملاتها غير الناضجة قد تلاشت منذ أيام روبان. وهذه الأشهر الستة التي قضتها في لندن غيرت فيها الكثير.. لكن، مهما كان خيالها واسعاً، فإنها لن تتمكن من جعل مارتن غورارد يأخذها معه إلى باريس بدلاً من لينور، رغم أنه قال لها «تبدين رائعة».

سألت آني زوجة أخيها:

ـ هل أمضيت يوماً جيداً؟

ابتسمت لينور:

ـ لم يكن سيئاً، ولا يزال لدي أمور أنجزها الليلة.

كان هذا يعني أن ليس لديها موعد مع ذلك المتوحش.

كانتا على وشك إنهاء وجبة طعامهما حين عاد إلى آني سؤال ملح عما إذا كان مارتن قد أخبر لينور بأمر زيارتها إلى منزله ليلة أمس أم أنه بقي صامتاً. وكان هذا السؤال يزعجها منذ وصول لينور.

سألتها، حين لم تعد قادرة على السكوت:

ـ هل رأيت مارتن غورارد اليوم؟

التعبير المسالم الذي ظهر على أسارير لينور والذي لم تحاول إخفاءه، أعطى آني فكرة عن الرد قبل أن تتكلم لينور:

ـ أوه.. أجل. لديه بعض الأعمال هذه الليلة وإلا..

وتركت الجملة كما هي.. لكن آني عرفت البقية.

قامت آني بإعداد القهوة بشكل آلي، لكن تفكيرها كان مشغولاً حيث راحت تتساءل عما إذا كان جاداً في قوله لها «سآخذك أنت إذا أحببت»، خاصة وأنه لم يذكر للينور شيئاً عن زيارتها له.

قالت وهي تضع فنجان القهوة عن الطاولة:

ـ لينور.. لا..

قاطعتها لينور بسرعة وقد عرفت ما ستقول:

ـ إذا كنت ستحاولين مجدداً إقناعي بالعدول عن السفر إلى باريس، فلا تفعلي.

ـ لكن.. لينور..

وقفت تأخذ معها فنجان القهوة:

ـ لدي عمل أنهيه..

واتجهت إلى غرفة نومها، وأقفلت الباب وراءها.

لم ترها آني تلك الليلة حتى الصباح، وقت الفطور. فهمت من طريقة تصرفها أنه لم يعد هناك مجال لأن تغير رأيها، لكن حبها لأخيها جعلها ترفض أن تترك الأمور عند هذا الحد..

لم يبق أمامها سوى خيار واحد.. بما أن لينور لن تغير رأيها في الذهاب مع مارتن غورارد إلى باريس، فلم يبق أمامها سوى محاولة إقناع مارتن بتغيير خياره، حتى لو كانت تكره الأمر..

كانت هذه الفكرة قد راودتها خلال ليل رهيب، حيث اعتقدت أن السبب الوحيد الذي دفع مارتن لعدم ذكر زيارتها له أمام لينور، هو أنه لم يجد من اللياقة أن يذكر لها شيئاً عن شقيقة زوجها، فيذكرها بأن لها زوجاً.

كانت آني متلهفة جداً، بحيث إنها ما أن خرجت لينور من المنزل إلى عملها، حتى اتصلت بمنزل مارتن غورارد، مسرورة أنها فكرت بتسجيل رقم هاتفه.

رد عليها صوت امرأة حنون كأنه صوت أم:

ـ يؤسفني أن أقول لك إن السيد غورارد قد غادر إلى عمله.

لا شك بأنها مدبرة المنزل، فمثل هذا النذل لا أم له.

شكرتها آني، وأعادت السماعة مكانها. . وما أن وصلت إلى مكان عملها حتى التقطت سماعة الهاتف مرة أخرى، واتصلت بمكاتب «صناعات غورارد» الرئيسية.

لكن مكالمتها أُوقفت إلى أن تعرّف عن نفسها. وبما أن اسم كابلان قد يثير الشبهات، فهي لن تفعل، وبالتالي لن تتجاوز سكرتيرته.

قالت آني:

ـ أيمكن أن تطلبي من السيد غورارد أن يتصل بزائرته ليلة الاثنين؟

أملتها رقم مكتبها مع إحساسها بالغباء تجاه ما قامت به.

ردت السكرتيرة:

ـ أجل. . بالطبع.

أتى جوابها عفوياً مباشراً، مما جعل آني تفترض أن السكرتيرة معتادة على مثل هذه المكالمات.

أكملت تؤكد:

ـ الأمر عاجل وملح.

ـ سوف أبلغ السيد غورارد الرسالة بنفسي.

مرت ساعات الصباح، وقلب آني يخفق اضطراباً كلما رن جرس الهاتف، لتجد أن الاتصال ليس لها. ثم بدأت ثقتها بصدق السكرتيرة تتلاشى. . ومع حلول الساعة الرابعة بعد الظهر، دون اتصال من مارتن غورارد، تأكدت أنه لن يتصل بها.

أقنعت نفسها بأنها حاولت قدر الإمكان. . لكن من الواضح أن مارتن غورارد غير مهتم. . على أي حال، فإنها بذلت ما في وسعها.

وفي هذه الأثناء انتبهت إلى أن العناد الذي تلحظه في تصرفات أخيها لم يكن خاصاً به وحده. .

بعد دقيقة اتصلت بشركة غورارد، للتكلم مع زوجة أخيها لينور.

ـ فكرت بأن أتصل بك حتى لا تقلقي لتأخري الليلة. . فلدي موعد بعد العمل مباشرة.

بعد لحظات صمت، ردت لينور:

ـ وأنا أيضاً.

حاولت آني إبقاء لهجتها هادئة:

ـ قد أتأخر في العودة. . كثيراً.

قالت لينور:

ـ سأجهز لك فراشك إذا وصلت قبلك، مع أنني أشك في هذا.

ودعتها آني، وهي تشعر بالإحباط لمعرفتها أن انتظارها لمارتن حتى يعود من سهرته، ومقابلته، ثم العودة إلى الشقة، لن يسمح لها كثيراً برؤية فراشها.

حاولت قضاء الوقت منتظرة في مكتبها إلى أن وصلت عاملة التنظيف، فغادرت. . ولكنها لا تستطيع المخاطرة بالانتظار يوماً آخر، لذلك خرجت لتناول العشاء، لجعل الوقت يمرّ بسرعة. .

كانت الساعة تقارب الحادية عشرة حين وصلت إلى الطريق الداخلية لمنزل غورارد المسمى «كلارندون هاوس» ولاحظت أن المكان مظلم، ما عدا النور الخفيف المنتشر في الرواق. . قادت السيارة ببطء، وتجاوزت المنزل، ثم توقفت بعيداً عن الباب الأمامي. بدا لها أنها ستنتظر طويلاً. . لا شك في أن مدبرة المنزل نائمة. . وما كانت آني لتمانع لو أن المرأة نسيت إنارة الرواق، لأن هذا يعني احتمال وقوع غورارد ليكسر عنقه بينما هو يصعد السلم.

انتظرت نصف ساعة ثم ساعة أخرى، مقتنعة أنها تفعل كل هذا للحفاظ على سعادة أخيها المستقبلية. خطر لها أكثر من مرّة أن تدير

محرك سيارتها، وتبتعد ولكنها لم تستسلم..

وفجأة لمعت أنوار سيارة تضيء الممر الداخلي، وتتجه إلى الباب الأمامي.. لم يبدُ لها أن مارتن غورارد لمحها أو لمح سيارتها، فهو لم يلتفت ناحيتها أبداً.. بل ترك سيارته، واتجه إلى السلم.

إنها لم تنتظر هنا كل هذا الوقت كي يصل ويصعد السلم ويغلق الباب وراءه.. لذلك، في الوقت المناسب، تركت سيارتها وأسرعت الخطى نحوه.

واستطاعت اللحاق به حتى أصبحت وراءه.. كان يدير المفتاح في القفل وظهره إليها، لكنه لم يلتفت نحوها، مما جعلها تفهم أنه شاهدها. وتمنت لو استطاعت أن تضربه على رأسه، حين قال بصوت مليء بالسخرية:

ـ يجب أن نتوقف عن اللقاء هكذا آني كابلان.

إنه يهزأ بها.. حتى قبل أن تبدأ!

* * *

٣ ـ لماذا لا تقاوم؟

حين تخطّى مارتن غورارد عتبة داره، لحقت آني به، رغم أنه لم يدعُها للدخول.. ولم يلتفت إليها إلا بعد أن أغلق الباب، ونظر إليها مباشرة.. عرفت أن مهمّتها لن تكون سهلة أبداً.

كان يقف منتظراً منها أن تخبره لماذا اختبأت في الظل.. كانت قد حضّرت في رأسها كل ما ستقوله له.. لكن عندما نظرت إليه، ورأت على وجهه أمارات الثقة بالنفس، ضاعت منها الكلمات.. فقد هزمتها وقفته الواثقة وجو الكبرياء المحيط به.. إنه معتاد على نساء يلعبن ويعبثن في عالمه المتحذلق.

كانت كل جوارحها تدفعها للهروب من أمامه قبل أن تجعل من نفسها أضحوكة.. لكنها شعرت بشيء من الغضب لأنه يترك لها المبادرة في إخباره بسبب حضورها، وقد ساعدها هذا الأمر وقوى عزيمتها.. فلم تقل شيئاً من الكلام المعسول الذي كانت قد أعدّته، بل قالت بلهجة اتهامية حادة:

ـ لقد انتظرت منك أن تتصل بي، طوال النهار.

ـ حقاً؟

بدا من كلامه وكأنها أصبحت واحدة من أولئك النساء اللواتي يجلسن معذبات قرب الهاتف طوال النهار بانتظار مكالمة منه.. لذلك زاد حنقها فحاولت المغادرة، لكنها وجدت أن قدميها العنيدتين ما

زالتا ترفضان الحركة.

قالت:

ـ اتصلت خلال النهار بمكتبك طالبة منك أن تتصل بي.. لكن من الواضح أن رسالتي لم تصلك.

ـ لدي سكرتيرة كفوءة جداً.

كان هذا يعني أنه تلقى الرسالة وتعمد تجاهلها، مما جعل الغضب يفقدها السيطرة على أعصابها:

ـ لو كان فيك ذرة من الشرف، لتخليت عن لينور، بدلاً من..

قاطعها:

ـ تعرفين طريق الخروج من هنا.

ـ حسناً.. أرى أنك لا تتمتّع بشيء من صفات الرجولة.. ألست هكذا؟ فما من رجل شريف يغوي امرأة متزوجة.. وحده إنسان قذر مثلك يستغل امرأة زوجها مسافر..

ـ هل ستغادرين وحدك.. أم أني سأضطر إلى رميك خارجاً؟

عرفت من لمعان عينيه الرماديتين أنه غير مرتاح للطريقة التي تكلمه بها.. وأنها إذا لم تتحرك بنفسها سريعاً، فسوف تشعر بيديه على ياقة سترتها وهو يدفعها نحو الباب، ليرميها فوق السلم.

حين تحرك نحوها، قررت آني أن لا تتأخر عن الحركة. كان من المذل لها أن تُطرد هكذا.. لكنها وجدت شيئاً من الكرامة لتقول:

ـ أنا بحاجة فعلاً.. لهواء نقي.

استدارت عند الباب، وكان مارتن قد اقترب بحيث أصبحت أنفاسه على عنقها.. سمّرت كعبيها في الأرض بعناد رافضة الخروج، وقد عادت إليها الشجاعة التي ظنت أنها فقدتها.. ثم قالت وهي تحاول أن تكون هادئة مهذبة:

ـ ذلك العرض الذي قدمته لي.. أن تأخذني بدلاً من لينور..

ماذا.. ماذا عنه؟

كانت تتوقع أن لا يتمكن من احتواء غضبه.. لكن سخطه تلاشى، وبدأت أطراف شفتيه بالتحرك صعوداً.. وعرفت أنه في أية لحظة، سينفجر بالضحك.

لكنه لم يظهر الفرح لعرضها مرافقته بدلاً من زوجة أخيها الجميلة.. وعاد فمه إلى قسوته، وإلى شكله الجذاب.. غريب أن تفكر بهذا في مثل هذا الموقف! وترك عينيه تجولان فيها لمرة واحدة.

ـ وهل يجرؤ المرء أن يأمل أن تكوني مرحة في الفراش، أكثر مما أنت خارجه؟

صُدِمت لقوله.. وإذا كان ذكاؤها ما زال يعمل، فإن ملاحظته الساخرة تعني أن لديها أمل بكل تأكيد.. كان قلبها ينقبض بألم على ما هي قادمة عليه، ورأت أنها إذا أرادت لذلك الأمل أن يبقى موجوداً، فعليها أن تغير لهجتها الحادة، وبسرعة..

بدأت تبحث عن الكلمات المناسبة:

ـ أنا.. لست دائماً.. عادة أنا أكثر..

توقفت عن الكلام.. وازداد ارتباكها حين قال وهو يرمقها ببرود:

ـ يبدو أنك تجدين صعوبة في إيجاد الكلام المناسب.

ثم لمعت عيناه بنظرة غريبة وهو ينظر إلى فمها:

ـ ربما هناك طريقة أخرى يمكنك التعبير بها عن كم أنت «عادة أكثر»..

سألت بارتجاف:

ـ ماذا.. تعني؟

مع أنها كانت تعرف تماماً ما يعني..

ـ كم عمرك؟

ـ اثنان وعشرون عاماً.

ـ أنت راشدة إذن.. آني كابلان.. أضيفي هذا إلى أنني ألمحت لك أنك لو ذهبت معي إلى باريس، فلن يكون ذلك لمجرد الإمساك باليدين.. وأنت تفهمين جيداً ما أعنيه حين أقول: أريني كيف!

اشتعل الغضب مجدداً داخل آني، لأنه يصر على أن تسعى هي إليه وأن تثبت له أنه إذا تخلى عن خطته بالنسبة للينور، فلن تكون عطلة الأسبوع مضيعة لوقته.

لا شيء إذن غير هذا.. وتحركت آني مقتربة منه.. ولزمها بضع دقائق لتجد الشجاعة وتفعل ما طلبه منها.. كانت تحاول إقناع نفسها بأنه لو كان هذا ما يجب أن تفعله لتحافظ على زواج أخيها، فستفعل.. واقتربت من الرجل الذي تكرهه، وهي تذكر نفسها بأنها عانقت رجلاً من قبل.. وما الفارق بين رجل وآخر؟ رغم أنها تفعل هذا الآن كارهة.. مدت يديها تحيط بعنقه.. في البداية، ظنت أن ليس هناك أي فرق..

لكن هذا كان قبل أن يتلامسا.. فقد وجدته يرد على عناقها.. ثم مع التفاف ذراعين قويتين حولها، عرفت أنها لم تعد تسيطر على شيء.. وأدركت أن مارتن رجل يحب أن يفعل ما يريد، ويسيطر على ما يريد.. وفي الحال، عرفت كيف يكون العناق مع رجل خبير.. في الماضي، خُيّل إليها أن خبرتها مع روبان بيير كانت ذات معنى. لكن مارتن، الذي لم يرضه مجرد العناق، أخذ يسعى إلى أكثر من ذلك.. مع روبان، طالما تمكنت من الحفاظ على ما يكفي من وعي لتعرف أين يقودها غزله.. لكنها الآن اضطرت للمقاومة بشراسة لتعي شيئاً غير الأحاسيس التي تحركت فيها.

حين تراجع مارتن عنها، أدركت، بقلب مضطرب، أنها كانت تريد المزيد.. كان ينظر إليها باسماً، وقد تلاشى من تفكيرها روبان، ولينور، وحتى كورتيس.

أبعدها مارتن عنه، فنظرت إليه ذاهلة.. وحين هبطت ذراعاه من حولها، وعت أنها كانت تحيطه بذراعيها وتتعلق به!

احمر وجهها خجلاً.. هل كان هذا تجاوبها؟ رغم كل شيء، استطاع مارتن أن يجعلها تستجيب بحرارة له، حتى أنها لم تجد كلمة تقولها..

لكن، مع عودتها السريعة إلى أرض الواقع، تذكرت سبب كل هذا.. ونظر إليها مارتن بقسوة وسمعته يتمتم بسخرية:

ـ قد تكون عطلة أسبوع مرحة معك على أي حال.. أتوقع مجيئك يوم الجمعة..

ما حدث لم يشعرها بالانتصار، وما كانت لتسعى إليه على أية حال.. واستطاعت أن تقول بعد أن عادت إلى طبيعتها:

ـ أتريدني.. أن أجيء.. إلى هنا؟ ألا يمكن أن تأتي لاصطحابي من حيث أسكن؟

كان يهز رأسه رفضاً قبل أن تنهي كلامها.. عادت إليه ثقته بنفسه، رغم أنها لم تغادره أصلاً.

ـ أنت التي اقترحت الأمر.

اتجه مارتن إلى الباب، ينوي إخراجها وكأنه لم يعد هناك ما يقال. لكن، وقد استعادت رباطة جأشها تماماً، وجدت آني أنه حتى لو ظن ذلك، فلديها شيء تقوله قبل أن تنضم إليه في عطلة نهاية الأسبوع المخزية.

قالت بسرعة:

ـ سمعت أنك إذا قطعت وعداً لا تحنث به أبداً.

فتح الباب الأمامي.. لم تؤكد نظرته إليها من علبائه كلامها ولم تنفهِ، فأجبرت نفسها على أن تتابع بسرعة:

ـ هل تعدني، لو ذهبت معك، بأن لا تتابع ما تخطّط له مع زوجة أخي؟

كان يعرف ما تعني.. لكنها كرهته لأن عينيه كانتا تتفرسان بها، وهي تجهد لتقول ما قالت، بطريقة تتعمّد أن تكون مهينة. لكن لدهشتها تغير وجهه فجأة، وظهرت عليه ابتسامة وهو يرد عليها:

ـ أنت تفاوضين بشكل قاسٍ آني كابلان.. لكن.. في مقابل قضائك بضع ليالٍ معي، أضمن لكِ أن تبقى لينور موظفة عندي، ولا شيء غير هذا.

في الصباح التالي، لم تستطع آني التركيز على عملها، فعقلها مشغول بالكثير بما حصل معها الليلة الماضية.

هذا الصباح، وبعد نوم مضطرب متقطع، كانت متأكدة من أن لينور، بالرغم من افتتانها بمارتن إلى درجة يمكن أن تعرّض زواجها للخطر، سوف تنخدع بما سيقدّمه لها من تبريرات لتصرّفه.. لكنها كانت خائفة أن تكون، بتصرّفها هذا، قد دفعت لينور إلى التشبث بمارتن.

وخشية أن تفقد السيطرة على الأمر، لم تتلفظ آني بكلمة مما اتفقت عليه مع مارتن، إذ لا داعي لأن تعرف لينور أو كورتيس بشيء.. كانت واثقة بشكل غريب بوعد مارتن بأنه لن يعود إلى لينور.

لكن لم تكن هذه الأفكار وحدها هي التي أبقت آني صاحية، ومنعتها من التركيز في عملها..

كل ما كانت تحتاج إليه بعد وعد مارتن، هو أن تطمئن أن أية ترقية

ستحصل عليها لينور من الآن فصاعداً لن تسبّب لها المعاناة.

سحبت آني بعض المال من المصرف، بما يكفيها أجرة الطائرة للعودة إذا ما وقع خلاف بينها وبين رفيق عطلة الأسبوع، خاصة عندما يكتشف أنها تنوي قضاء بضع ليالٍ معه، لكن ليس في فراش واحد بالتأكيد.

رغم ذلك، كانت تعي جيداً الإضطراب الشديد الذي أحسّت به حين احتواها بين ذراعيه.. لكن تجنّباً لمزيدٍ من الاضطراب، عليها أن لا تدعه يقترب منها مرة أخرى أثناء وجودهما معاً في إنكلترا.

بعد تناول طعام العشاء تلك الليلة وقفت لينور لتقول إنها ذاهبة إلى غرفتها لتوضب حقائبها.

صاحت آني:

ـ ستوضبين حقائبك؟

رمقتها لينور بنظرة تدلّ بوضوح على أنها حزمت أمرها، وقالت بشيء من الحدة:

ـ لا داعي لكل هذه الدهشة.

لكنها لم تكن تدرك أن دهشة آني نابعة من أن مارتن لم يقل للينور بعد أن لا داعي للسفر.. وتابعت لينور:

ـ تعرفين هذا منذ أكثر من أسبوع، تعرفين أنني سأستقل الطائرة إلى باريس بعد العمل مباشرة مساء الغد، لذا لا داعي..

قاطعتها آني بسرعة:

ـ ليس الأمر كذلك.. كل ما في الأمر أنني نسيت أنني أنا أيضاً مسافرة غداً من عملي مباشرة، ولم أوضب ثيابي بعد.

شعرت آني بالأسف للطريقة العنيفة التي واجهت بها زوجة أخيها. لا شك في أن لينور ظنت أن آني ستقضي نهاية الأسبوع مع والديها،

كما أخبرتها سابقاً. وسألت لينور:

ـ هل ستخبرين والديك شيئاً عني؟

لم تتظاهر آني أنها لم تفهم ما تعنيه لينور، لكن اهتمام هذه الأخيرة بأن لا يعرف والدا زوجها بأمرها، رفع من معنويات آني.. فهذا يعني بالتأكيد أنها لا تزال تشعر بالكثير نحو كورتيس.

قالت:

ـ لا.

وتركت الأمر عند هذا الحد.

لكن بعد أن جمعت كل ما تريد أخذه معها في حقيبة صغيرة، شعرت بالصدمة من هذا الموقف الغريب.. فها هي في غرفتها توضب حقيبتها للسفر مع مارتن غورارد، بينما لينور في غرفتها تقوم بالشيء عينه! وفكرت: أكاد أصاب بالهستيريا، ولا عجب في هذا!

فكرت بمرح في موقف لينور التي تظن أنها ستكون غداً في باريس، بينما الحقيقة أنها ستكون حيث هي الآن بالضبط. لكن حين رأت نظرة الترقب في عيني زوجة أخيها، فارقها ذلك الشعور المرح.

قالت لينور:

ـ سأراك مساء الاثنين. أظن أنك ستعودين يوم الأحد.. أليس كذلك؟ أم أنك تفكرين بالعودة صباح الاثنين، والذهاب إلى العمل مباشرة؟

تمتمت آني:

ـ سأرى كيف تسير الأمور.

ـ وهل ندمت على وعدك بمغادرة لندن؟

ـ ماذا تعنين.

ـ حسناً.. يبدو أن هناك شيئاً مميزاً جعلك تبقين في الخارج حتى

وقت متأخر تلك الليلة.. بل ربّما حتى الصباح.

تذكرت أنها اتصلت بلينور لتقول لها إن لديها موعداً بعد العمل، حين جلست في السيارة تنتظر عودة مارتن يوم الأربعاء:

ـ أوه.. هو.. لن أمانع أن أراه مرة أخرى.

نظرت لينور إليها نظرة تقول: من الذي تحاولين استغفاله بعد قضاء الليل في الخارج؟ ثم غادرت بمرح.

ظهراً، ذهبت آني إلى المصرف لتأخذ المال وهي تفكر بأن مارتن الآن قد أخبر لينور. تُرى ماذا كان فعل لو أنها لم تذهب إليه تلك الليلة؟ بسرعة، أبعدت فكرة ما فعله بأحاسيسها وهي بين ذراعيه القويتين.. ورأت أنه حتى لو عدل عن قضاء هذه العطلة مع لينور، فلا شيء يضمن لها بأنه سيحافظ على وعده لاحقاً.. فهناك دائماً عطلات أسبوع أخرى يمكن أن يقضيها مع لينور، دون أن يبالي بما قد يسببه من ألم لبعض الناس..

كانت تعي مع اقتراب نهاية بعد الظهر، أنها لا تعرف متى ستنعم براحة البال مجدداً.. وكانت تضع الغطاء على آلتها الكاتبة حين ظهرت زميلتها في المكتب لتسير معها عبر موقف السيارات.

قالت وهما تغادران المبنى:

ـ كنت سأدعوك للذهاب إلى السينما الليلة.. لكنني لمحت حقيبتك في السيارة.. هل أنت مسافرة إلى مكان جميل؟

ـ أوه.. إلى منزل والديّ.

ـ هما يعيشان في لينكولن شاير، أليس كذلك؟ كوني حذرة.. يُتوقّع تساقط الثلج في تلك المنطقة هذا الأسبوع.

بالفعل عليها أن تكون حذرة، رغم أنها لن تذهب إلى أي مكان قرب «لينكولن شاير» ووالداها ليسا هناك بل في مكان ما من ساحل

«وايلز». . وبإمكان الطقس أن يكون سيئاً كما يشاء.

أخذت آخر أنفاس حريتها، ثم غادرت السيارة لتقف عند الباب الأمامي لمنزل مارتن غورارد، ودقت الجرس.

كانت أول مفاجأة لها أن مارتن لم يفتح لها الباب بنفسه، لكن فتحته صاحبة الصوت الرقيق التي كلمتها على الهاتف منذ أيام. . كانت امرأة في أواسط الستين، جسدها المترهل مكسو بثوب عمل أزرق مخطط، وعرفت آني أنها مدبرة المنزل.

قالت بسرعة:

ـ أوه. . أنا آني كابلان. . السيد غورارد يتوقع وصولي.

نظرت مدبرة المنزل إلى حقيبتها، وأحست آني ببسمة دافئة على وجهها. . إما أن المرأة معتادة على فتح الباب ليلة الجمعة لنساء على استعداد للإقامة هنا، أو أنها معتادة على أن لا تدع ابتسامتها تغادر وجهها. .

كانت آني تتوقع أن تسمع وقع أقدام مارتن وهو يتقدم نحو الباب.

لكنها لم تسمع أية خطوات، ولا كان له أي أثر. . وما إن أغلقت مدبرة المنزل الباب وراء آني حتى قالت:

ـ السيد غورارد في المطار. . لكنه. .

صاحت آني بذهول غير مصدّقة:

ـ المطار؟!

لكن مدبرة المنزل على ما يبدو ليست من النوع الذي ينصدم بسهولة. . فإقامتها تحت سقف بيت مارتن غورارد، عودتها على رؤية الآخرين مصدومين. . لذا وقبل أن تستعيد آني وعيها من صدمة أن ذلك القذر الشيطاني مارتن غورارد قد خدعها قبل أن تخدعه، وجدت أنها أدخلت بلطف إلى غرفة الاستقبال، بينما انسحبت مدبرة المنزل لتحضر

لها فنجان شاي.

كالغبية، تركت نفسها تؤمن أن ذلك. . ذلك الفاسق. . قد اختارها بدلاً من لينور. . بينما لم يكن ينوي قط إلغاء ترتيباته مع لينور. . ولا شك بأنهما معاً وفي هذه اللحظة يمران بقسم الجوازات. . وتحول ذهول آني إلى غضب.

في الدقيقتين التاليتين، فكرت بكل نعوت النذالة التي تستطيع أن تطلقها عليه. . ومع هذا كله، لم تعبّر بعد عن رأيها به وبأخلاقه «الرفيعة». . ثم، لم تعد قادرة على البقاء في بيته، فقامت عن المقعد.

لكن بينما هي تركض إلى الباب وتفتحه لتخرج منه، اصطدمت بشخص يهمّ بدخول الغرفة.

فجأة أمسكت بها ذراعان قويتان تثبتانها، ما زالت تذكرهما تماماً. . تلقّت صدمة أخرى حين وجدت نفسها تنظر إلى وجه ساخر هو وجه مارتن غورارد.

لم تكن السخرية تظهر فقط على تعابير وجهه، بل في صوته كذلك.

ـ يا للسماء! أنت تستشيطين غضباً بسبب شيء ما آني الحلوة؟ لا تقولي لي إن السيدة راوندي قد أزعجتك؟

لهجته الساخرة، زادت من غضب آني أكثر فأكثر. لكن حين رفضت ذراعاه تركها، تراجعت إلى الوراء لتتخلص منه، فنزلت ذراعاه إلى جنبيه. تراجعت آني إلى الخلف مجدداً، وظهرت دهشتها في صوتها:

ـ السيدة التي فتحت الباب قالت إنك في المطار.

ـ والسيدة لم تكذب. . هل كنت تفضلين أن تبقى لينور منتظرة في المطار تتساءل إلى أين ذهبت؟

- وهل انتظرت إلى هذا الوقت المتأخر لتقول لها؟

- وهل أخاطر أن أقول لها وأقدم لك فرصة لتمارسي خداعاً مزدوجاً؟

- أنا هنا.. أليس كذلك؟

- تحت الإكراه.. أتظنّين أنني لا أعرف أنك لو وجدت طريقة لتجنب مشاركتي الفراش في عطلة نهاية الأسبوع هذه فلن تترددي في تنفيذها؟

ردت بحدة:

- إذا كنت تعرف هذا، فلماذا وافقت؟

ابتسم دون صدق:

- بإمكانك القول.. إنني أحب التحدي.

دخلت السيدة راوندي بصينية الشاي ووفرت على آني التفكير برد.. صبت آني لنفسها فنجان شاي.. واعترفت لنفسها بأن مارتن يتمتّع بقسط وافر من الذكاء.. ولا بد أن غروره كرجل جعله يترك لينور لأجلها.. كما أن معرفته أنها قبلت مرافقته على مضض، أيقظت فيه «زير» النساء وجعلته يسعى إلى إرضاء غروره دون تفكير على ما يبدو.

مع مغادرة السيدة راوندي الغرفة، كان الغضب قد بدأ يشتعل في صدر آني التي أدركت أن مغامرتها لإنقاذ زواج أخيها ربما تكون متأخرة.. فرغم أنه استطاع بسهولة التخلي عن لينور، فإن أي تحدٍ تقوم به لينور كفيل بأن يدفعه إليها، هذا إذا لم يكن ذلك قد حصل بعد!

فكرت بسرعة.. هذا ليس وقت السماح للذوق السليم بأن يقف في وجه ما تريد أن تعرف. كانت واثقة بأن هذه العطلة لن يُكتب لها النجاح إذا تلقّت جواباً خاطئاً عن سؤال طالما أرّقها.

سألت فجأة:

- قل لي.. هل.. أنت ولينور.. كنتما..

وعلق السؤال في حلقها.. لكن الذكاء الحاد ليس العبارة المناسبة لوصفه.. فقد رفع حاجبه قليلاً ولم يجد غضاضة في إنهاء سؤالها قائلاً:

- في الفراش معاً؟

كرهته أكثر لسخريته الوقحة، لكنها لم تنظر إلى البعيد.. وأكمل ببرود:

- يبدو لي، وبما أنني وعدتك.. أنني أنكرت على نفسي تلك اللذة.. إلى الأبد.

- وهذا يعني النفي؟

لكن الارتياح الشديد الذي غمرها سرعان ما تلاشى حين قال مارتن:

- ليس بعد.

باتت متأكدة من أنها يجب أن تستمر في اللعبة، ولو إلى باريس فقط. كان تهديده واضحاً، ولا حاجة لأن يفسره أكثر.. وفكرت أن تغير موضوع الحديث.

- كان بالإمكان أن توفر على نفسك رحلة العودة إلى هنا من المطار. كان بإمكاني، وبسهولة، الذهاب إلى هناك في سيارتي.

- وهل تحبين التفرج على المطار؟

- أعني، بما أننا سنسافر إلى باريس.. في رحلة قادمة، كان يمكنني أن..

- لكننا لن نذهب إلى فرنسا.

نسيت أنها لا تزال تحمل فنجان الشاي الفارغ وصحنه. لكن قعقعة الخزف الصيني بعد الصدمة التي سبّبها قوله، جعلتها تضعه من يدها

بسرعة:

ـ نحن.. لن نذهب.. أتقول إننا.. إنك.. ستلغي الاتفاق؟

أخذ وقته ليرد.. ثم ببطء شديد، هز رأسه وقال:

ـ وهل يمكن أن أفعل.. بعد كل عملك المتعب؟ كيف يمكن أن تظنيني نذلاً هكذا؟ أيمكن أن آخذك إلى ذات الموقع الذي خططت أن أكون فيه لقضاء علاقتي.. الشائنة.. الأخرى؟

ردت بسخرية:

ـ وهل أنت حساس إلى هذا الحد؟

كان رده الابتسام.. إهانتها له لم تمسه أبداً، لكن غضبها هدأ بسرعة حين قطع الغرفة ليأخذ حقيبتها، وقال:

ـ إذا أحببت أن تأتي معي، سأريك غرفتك فوق فقد ترغبين في الاغتسال قبل العشاء.

كانت قد تصورت المنظر عدة مرات.. لكن لم يكن من المفترض أن يكون هكذا! حاولت كبت الذعر الذي أحست به لظنها أنه سيأخذها إلى غرفته، ووجدت نفسها تقول:

ـ هل.. سنبقى.. هنا؟

استدار نحوها قائلاً:

ـ وهل لديك اعتراض؟

لكنها لم تكن في موقف يسمح لها بأي اعتراض. وأخذت تتمنى في سرّها لو أن أخاها لم يقابل لينور ويتزوّجها.. لكنها لن تفقد أعصابها وتتركه غاضبة لتخرج إلى سيارتها.. فجأة تذكرت كورتيس السعيد جداً يوم زفافه، وحبه للينور ظاهر يراه الجميع، وعيناه لا تتركان العروس إلى جانبه.

وجدت نفسها تقف مسمّرة لتجادل:

ـ لم يكن هذا ما اتفقنا عليه.. لقد وافقت على السفر معك لعطلة نهاية الأسبوع، لا أن أبقى هنا في بيتك.

كانت قد خبرت وقاحة مارتن من قبل.. ولقد عاود وقاحته وهو يسأل:

ـ هل تعنين: لا سفر.. لا فراش؟

تحوله إلى العجرفة الوقحة، لم يكن أفضل من سخريته. لكنها كانت تعلم أنه لا يأبه بها كثيراً، كذلك فهمت من عجرفته أنه في أية لحظة الآن قد يتراجع ويعلن عدم رغبته في مشاركتها الفراش.. بدأت معدتها تتقلّص، وأحست أنها عاجزة عن استيعاب ما سيقودها إليه هذا التطور الجديد فيما يتعلّق بخطتها في خداعه.. مع ذلك فقد وجدت أن عنادها يرفض السماح لها بالتراجع.

ـ هذا بالضبط ما أعنيه.

وتساءلت عما إذا كانت، وبطريقة خفية، تتوسل إليه إلى أن يريها طريق الباب لتخرج..

كانت تنتظر متوترة ردة فعله.. شعرت بموجة من الخدر تجتاحها، ولم تكن تفهم جيداً ما قاله وهو يتمتم:

ـ خطة أخرى فشلت.. إما أن آخذك وأسافر وحينها ستنزعج السيدة راوندي حين تعلم أن جهودها قد ضاعت هباء.. أو أن أقضي هذه الليلة وحيداً في فراشي.

أحسّت بأعصابها تحترق.. ولم تكن تعرف ماذا سيحدث، حين قال لها بلهجة من لا يتوقّع جدالاً:

ـ الحقي بي.

بدأت تفيق من موجة الخدر التي اجتاحت مشاعرها، وعرفت أنّ مارتن غورارد قد توصّل إلى قرار، وسيلتزم به. وهذا القرار يمكن أن

يكون إيصالها إلى الباب الأمامي . . وستضيع وقتها سدى محاولة جعله يغير رأيه .

* * *

٤ ـ لن تنجو منه

عندما لحقت آني بمارتن غورارد إلى الردهة بدأ قلبها يخفق ألماً . . شعرت بأن شجاعتها التي أوصلتها إلى هنا قد تخلت عنها الآن . . كانت لا تعرف ماذا ستفعل إذا ما استمر في السير نحو الباب .

لكنها لم تنخبط في التوتر لفترة طويلة ، فقبل وصوله بخطوات إلى سلم أنيق ، توقف وأحست بيده تندس تحت مرفقها ، ثم أدارها باتجاه السلم .

عندما تسلقت السلم معه ، كانت تشعر أن قلبها يدق بعنف كما كانت حذرة من أية حركة مفاجئة قد يقوم بها . . لكن تنفّسها بدأ ينتظم ، حين تقدما إلى آخر الرواق ، وفتح مارتن خزانة لمفارش الأسرة ثم قال بلطف :

ـ ستكون السيدة راوندي مشغولة بتحضير العشاء .

أخذ يضع مفارش السرير ومناشف نظيفة بين يديها ، ثم أكمل ساخراً :

ـ أنا واثق أنك لن تمانعي في ترتيب سريرك بنفسك .

تمتمت :

ـ لا مانع لدي أبداً من مساعدة السيدة راوندي .

ورأت التواء فمه فعرفت أنه يهزأ من محاولتها الظهور بمظهر الساخرة . وأدركت أن بإمكانه أن يخمّن كل ما يدور في رأسها .

www.elromancia.com

حملت المفارش، ولحقت بمضيفها الذي كان يحمل الوسائد والأغطية عبر الرواق، إلى أن توقف عند أحد الأبواب وفتحه. لحقت به إلى الداخل ملاحظةً الأثاث الذي يظهر ذوقاً رفيعاً، ثم أخذت تراقبه وهو يرمي ما يحمله على أحد المقاعد.

استدار ليواجهها:

ـ سيكون العشاء جاهزاً بعد ربع ساعة.. سأتركك لتنزلي متى كنت جاهزة.

ما أن خرج، حتى غاصت في الفراش وهي تشعر كأنها قطعت لتوها حقل ألغام.. وهذه هي البداية فقط!.. أوه.. يا إلهي.. ما الذي فعلته بنفسها؟

مرت الثواني ثم الدقائق وهي تحاول جمع شتات أفكارها. مع ذلك لم يكن أمامها سوى أن تمضي إلى نهاية الشوط، وماذا يمكنها أن تفعل غير هذا؟ لقد وافق على ترك لينور وشأنها بشرط أن تقضي آني بضعة ليال معه.. فإذا تراجعت الآن، كما تحثها كل مشاعرها أن تفعل، فستكون قد حنثت بوعدها. عندها، لن يشعر بأي غضاضة في أن يتراجع عن وعده.

رأت آني أنها ملزمة بالمضي معه إذا أرادت منه أن يحافظ على وعده.. وعرفت أن لا خيار آخر أمامها.. وفي الغد ستلعب الدور كما يُفترض بها.. أما الآن، فيجب أن تكون ممتنة لمدبرة المنزل.. الليلة على الأقل، وبسبب الاحترام الذي يكنّه مارتن لعمل هذه الأخيرة، اكتسبت آني إنقاذاً مؤقتاً.

حاولت أن تفكر بطريقة تنقذها مجدداً ليلة الغد.. فلينور لن تعود قبل الاثنين، وهذا يعني وجود ليلة الأحد أمامها.. تحركت بسرعة ترتب السرير قبل أن يستولي عليها الذعر مجدداً.. اغتسلت

بسرعة وأعادت وضع تبرجها الخفيف، ثم مررت مشطاً عبر شعرها القصير المتموج.. وبما أنها ذهبت في الصباح إلى عملها ببذلة جديدة، فقد أخذت تملّس تنورتها، ثم تركت الغرفة لتنزل إلى الغرفة الوحيدة التي تعرفها في المنزل.

وجدت مارتن هناك يتحدث إلى مدبرة المنزل. كان قد غير بذلة العمل، وارتدى بنطلوناً عادياً وكنزة.

قال حين شاهدها:

ـ أنت هنا أخيراً آني..

والتفت إلى السيدة راوندي:

ـ الآنسة كابلان ستبقى الليلة هنا.. وكانت مسرورة بتحضير السرير لنفسها.. أليس كذلك آني؟

ابتسمت:

ـ بالطبع.

ولم تضطر إلى إضافة شيء آخر، فبالسحر عينه، رافقها مضيفها إلى غرفة الطعام، معلقاً أنه يأمل أن تكون جائعة بما فيه الكفاية كي تأكل بشهية.

وجدت نفسها مضطرة إلى الاعتراف بأن تصرفه كان يخلو من أي عيب أمام مدبرة المنزل، إلا أنها كانت متأكّدة أن هذا كله سيتغير حين تتركهما السيدة راوندي لوحدهما.. لكن بعد أن جلسا، وأصبحا لوحدهما، دهشت لأنه لم يوجه أي تعليق ساخر أو مهين إليها وهما يتناولان الطعام.

كانا يتناولان الطبق الثاني من الوجبة، وهما يتحدثان بسهولة في أي موضوع. أدركت أنه بتجنّبه الخوض في الخصوصيات، أبعدها حتى الآن عن التوتر الذي طالما أحسّت به. وبدأت فعلاً تبتسم من قلبها

لملاحظة طريفة أطلقها لتوه.. لكن سرعان ما تلاشت ابتسامتها، وذكّرت نفسها، مكررة في سرّها: النذل يبقى نذلاً على الدوام..

كانا يتناولان الحلوى، حين ظهر العبوس على وجهها، وهي تفكر أنها جاهدت كثيراً خلال الدقائق العشرة الأخيرة لتتذكر ما قالته في سرّها للتو «النذل يبقى نذلاً على الدوام».. وفكّرت أن الوجبة لن تكتمل دون أن يحاول بحث أمور خاصة معها.

لكن، وبالرغم من حذرها، لم ترَ ضيراً من الرد على سؤاله عن نوع عملها.. قد تتمكن بهذا من إيقاظ أي إحساس بالشرف ما زال مدفوناً في داخله.

ـ أعمل سكرتيرة في شركة ويندلتن لصناعة الرافعات.

ـ وهل تتمتعين بعملك؟

ـ إنه عمل مثير للاهتمام.. مع أنني أعمل للمؤسسة منذ ستة أشهر فقط.

ـ وهل تؤمنين بتغيير الوظيفة بين حين وآخر؟

هزت رأسها:

ـ حتى سنة مضت، كنت أعمل للمؤسسة عينها التي انضممت إليها بعد ترك المعهد.

كبتت ابتسامة وهي تكمل:

ـ هذا صحيح، لكن تلك الوظيفة لم تدم طويلاً. في حينها، كنت أعيش مع والديّ في قرية صغيرة في لينكولن شاير.. لكن بعد أن تزوج كورتيس من لينور، كان عليه الالتزام بالعقد الذي وقعه لسنتين في البرازيل، وافتقدته لينور كثيراً وطلبت مني المجيء إلى لندن والسكن معها.

شعرت بالسرور لأنها استطاعت تذكيره بأخيها وزوجته. لكن

ابتسامتها تلاشت حين تجاهل ما رمت إليه وأكمل مفكراً:

ـ إذن قبل أن تستقري في وظيفتك الثانية، قررت التخلي عنها.. فماذا حدث في لينكولن شاير؟

ـ ماذا تعني «ماذا حدث؟»

من اللمعان الخبيث في عينيه، علمت أن ردها الحاد جعله يعرف أن لديها سبباً وجيهاً لكي لا تبحث المسألة.. لكن ذلك لم يمنعه من المضيّ في الحديث ليعرف المزيد.

رد بهدوء:

ـ لا بد أن شيئاً قد حدث، وإلا لكنت استقلت فقط.. ثم لماذا تركت منزل أبويك أيضاً؟

يا للمتوحش الخالي من المشاعر! سوف يصاب بخيبة أملٍ أخرى إذا كان يظن أنه سيحصل على ردٍّ شافٍ.

قالت ببرود:

ـ هناك ظروف أخرى دفعتني إلى اتخاذ قراري هذا.

لم يزعجه أبداً ردها الجاف، وظهرت السخرية مجدداً في صوته:

ـ آه.. هل كانت قصة عاطفية فاشلة؟.

لكن النظرة القاسية التي رمته بها جمّدته.. تنفست ببطء وهي تكبح شعوراً قوياً يدفعها لكي تضربه.. فهو لم يكتف بتعريض زواج أخيها للخطر، بل جعلها تتألم حين ذكر معاناتها السابقة بهذه السخرية.

قالت بلهجة لاذعة:

ـ لقد حصلت على «معمودية النار» مع أمثالك.

ـ ونجوت..

تمتم شيئاً لم تفهمه ثم تابع:

ـ أخبريني.. هل هربت قبل.. أم بعد.. أن أصبحت «محترفة»؟

لم تكن واثقة عمّ يسأل.. إذا كان يسأل عما إذا كان لها علاقة بكل ما تعنيه الكلمة، بإمكانه السعي لاهثاً ليعرف الرد.. لكنها فجأة رأت في هذا الحديث فرصة ذهبية للنيل من هذا المتعجرف، فقالت:

ـ كنت مثل لينور.. أحببت رئيسي، ووضعته فوق نُصب مرتفع.. لكن، وكما اكتشفت لينور اليوم في المطار، فإن الذكور الذين نضعهم فوق نصب عالٍ ينقلبون غالباً إلى أشخاص عاديين أقدامهم في الطين.

مرة أخرى لم يلامسه سهمها المسموم.. حتى أنه ابتسم، وكأنما يشدّد أن الاتفاق معها، إذا لم ينفذ حرفياً، فستبقى لينور له.

ـ هل لا زلت تتألمين من اكتشافك بأن مثالك الأعلى كان مجرد رجل عادي.

وجدت آني صعوبة في الجلوس وتبادل الكلام المبطّن.. وكان ردها أن وقفت لتقول بأدب:

ـ كان يومي متعباً.. وأنا واثقة أنك ستعذرني لو ذهبت إلى غرفتي.

لا تدري لماذا تسمّرت في مكانها.. كانت تنتظر لتسمع صوته الساخر يتمنى لها ليلة سعيدة. كانت تقف وذقنها مرتفع قليلاً بشيء من الكبرياء.. لكن بعد أن يئست من حصولها على ردّ، تحركت نحو الباب وهي تقول:

ـ ليلة سعيدة.

ـ آني..

وقفت وهي تحاول إدارة مقبض الباب، ثم استدارت.. وحاولت أن تتجاهل اللمعان الخبيث في عينيه.

ـ السيدات.. من صديقاتي.. يعانقنني قبل النوم على الأقل.

استدارت نحو الباب، لكنها عادت إلى تعقلها وأدركت أنها لو تبعت حدسها وخرجت من الغرفة، فستُفشِل خطّتها.. لقد عقدت صفقة معه، وأي خلل في تلك الاتفاقية، سوف يضيّع كل جهودها سدىً..

أقنعت نفسها أنه لو كان يريد فقط مجرّد عناق بريء فهي لا تزال في موقف سهل جداً، لذا أحست بالثقة ومشت باتّجاهه.

خوفاً من أن يستغل قربها منه ليتمسك بها، توقفت قرب كرسيه. لكن حين لم يتحرك ليلمسها، أحست بأنها لا تعرف ماذا تفعل.. ونفد صبرها، فأحنت رأسها تعانقه.

... ثم بدأت آني تقشعر فجأة، وأخذت تختبر حين لم يحرّك ساكناً ويقترب منها، أكثر المشاعر تناقضاً.. أرادت أن تعانقه وتحصل على الرد منه.

فجأة تراجعت، تكرر: ليلة سعيدة.. ومع بدء خديها بالاحتراق بسبب المشاعر العنيفة التي انتابتها، ركضت مبتعدة.

كانت لا تزال تتساءل عن ذلك التأثير الغريب الذي كان لملمس بشرته عليها.. اغتسلت وارتدت قميص نوم مختصر، ثم صعدت إلى السرير.. أخذت تفكّر به وهي تشعر بالحيرة بسبب اشتعال أحاسيسها المفاجيء..

ردة فعله، أو بشكل أدق، عدم ردة فعله، كان مثيراً للاستغراب.. روبان پيپر ما كان ليترك المناسبة تمر دون أن يستغلّها.. كان دون شك سيمسك بها كما كانت تتوقع من مارتن أن يفعل.

هذا كله يثبت أنهما في الأساس نذلان.. روبان كان يتشمم روائح كل النساء من حوله عن بعد ويسارع للإيقاع بهنّ، بينما لمارتن

أسلوب رفيع أكثر.

عند هذا الحدّ أدركت أن تفكيرها أخذ يتشوش.. فمارتن بالتأكيد من الرجال الذين يحرصون على عدم تضييع أية فرصة.. وقد سنحت له فرصة ذهبية في غرفة الطعام.

ثم بدأت تفكر أنها ربما تكون قد تسرّعت في الحكم عليه.. أدركت أنها في الطريق للإعجاب بشيء ما فيه.. وأنه أهل للثقة.. وأنه ليس من النوع الاستغلالي.. وبدأ قلبها يخفق بعنف حين سمعت أصواتاً أنبأتها أن سيد البيت صاعد إلى غرفته في الطابق الأعلى ليستريح.. هذا إذا لم تكن حمقاء ساذجة حين صدّقت كلامه..

استحالت إلى كتلة أعصاب متوترة في الحال، وكتمت أنفاسها مع تقدم وقع قدميه.. ثم كاد تنفّسها ينقطع حين توقفت القدمان، خارج بابها تماماً! لكنها عادت لتتنفس بشكل طبيعي بعد أن عادت القدمان للابتعاد، وسمعت صوت باب آخر ينفتح، ثم ينغلق.

كانت آني تظن أنها ستقضي ليلتها مسهّدة قلقة، لكن، ولدهشتها، نامت جيداً طوال الليل.. وحين استيقظت على نور فجر رمادي شاحب عاد القلق إليها، وفقدت الأمل في العودة إلى النوم.

لم تكن مستعجلة لبدء يوم كانت تعرف أنه سيكون أكثر أيام عمرها خداعاً، فبقيت مستلقية حيث هي.

لكن بدأت تراودها أفكار مزعجة، وتخيّلت مارتن غورارد يرفض الالتزام بوعده. عرفت أنها لن تتمكن من كبت ذعرها بمجرد الاستلقاء في الفراش، وترك خيالها يجمح.

بسرعة، قفزت من السرير.. أرادت، بكل جوارحها، أن تكون بعيدة عن كلاريندن هاوس. لكن.. هل تجرؤ على التراجع؟ هل تجرؤ على الهرب والعودة إلى الشقة لتخبر لينور بالخطة التي وضعتها

لإبعادها عن مارتن؟

لكنها تراجعت عن الفكرة حين تذكرت قول زوجة أخيها بصراحة إنه لا يهمها أن يكون له نساء أخريات، وإنه يجعلها تشعر حين تكون معه، أن لا وجود لهن.

لعنت آني فتنته، وذلك السحر الناعم الذي لا يجعل أية امرأة في مأمن منه.. لكنها لن تجرؤ على المخاطرة.. وهي مضطرة للسفر معه، لكن عليها أن تجد طريقة لتنام وحيدة في سريرها كما نامت الليلة.

وهي منغمسة بعمق في أفكارها، تحركت لتنظر خارج النافذة.. فجأة بدأ المنظر الساحر الساكن يبرز لها.

كانت المرة الأولى التي ترى فيها الحدائق والأراضي المحيطة بكلاريندون هاوس.. منظر الوديان والتلال، الذي يظهر من نافذتها أبعد عنها القلق حول خطورة وضعها.. لقد تساقط الثلج كثيراً خلال الليل، لذا بدت الطبيعة من حولها ساحرة.. وحدائق الشجيرات صغيرة مزهرة والأشجار كلها تلبس رداء الثلج الفضي..

بعد هذه الدقائق الجميلة التي قضتها في تأمّل الطبيعة، عاد الهدوء والسكينة يتسرّبان إلى نفس آني.. وابتعدت أفكارها عن المحنة التي تمر بها.

لكن هذا لم يدم طويلاً.. فجأة سمعت صوتاً في غرفتها، فاستدارت.. كان سحر المنظر في عينيها، لكنه تلاشى حين رأت مارتن وقد دخل بصمت إلى غرفتها!

مع تسارع اللون الأحمر الساخن إلى وجهها، لم تلاحظ أنه يحمل صينية طعام فيها فنجان شاي وصحن، لكنها لاحظت أنه لم يرتد ملابسه بعد.. فقد بدا لها واضحاً أنه لا يرتدي سوى الروب!

تسمّرت غير قادرة على الابتعاد عن النافذة . . رأت عينيه الرماديتين تطوفان على جسمها . . وأخذت آني تلعن في سرها اليوم الذي ظنت فيه أن قميص النوم المختصر جميل ويجب أن تشتريه .

دخل الغرفة وهو يقول :

ـ فكرت أنك قد ترغبين في بدء يومك بشكل مناسب .

أملت أن يكون قصده الشاي ، وتمكنت من أن تتمتم :

ـ ما كان . . يجب أن تزعج نفسك .

بدأت أجهزة الإنذار في كل أنحاء جسمها تعمل دفعة واحدة بعد أن انتهى من وضع الصينية على الطاولة الصغيرة وتقدم نحوها خطوة أخرى .

رد بهدوء :

ـ ليس هناك ما يزعج . السيدة راوندي تتأخر في النوم أيام العطلة . . ولسوف أبدأ بتحضير الفطور على الفور .

كونه يحضر الفطور لنفسه ولها ، لم يكن هذا ما يهمّ آني الآن . . إنها تتمنى فقط لو يخرج ويبدأ بالعمل فوراً . لكن مع تغلبها على صدمة دخوله الغرفة وهي في غلالة النوم القصيرة السخيفة ، حاولت أن تتظاهر بحنكة لا تملكها ، في محاولة لتسريع مغادرته .

قالت :

ـ سآخذ حماماً سريعاً ، ثم آتي لأساعدك .

ـ سأكون ممتناً . . لتعاونك .

كان البريق الشيطاني المتراقص في عينيه كافياً لتعرف أنه رأى ما تحاول إظهاره من حنكة أمامه . وتجاهلت معنى ملاحظته ، ولكنها تمنت أن لا يتجاهل بدوره التلميح الكبير الذي قصدته وهي تقول :

ـ سأملأ المغطس ماء ، وأنا أشرب الشاي .

سأل :

ـ هل لديك قبلة صباح الخير لي؟

بدأت تتساءل عما إذا كان قلبها سيعرف مرة أخرى الضربات القوية التي عرفها ليلة البارحة ، وبدأت تفكر كيف يمكن أن تخرجه من غرفتها ، وبسرعة . . قد يكون من الأفضل أن تعانقه بسرعة بدل أن تقف هكذا ، تتبادل معه كلاماً معسولاً وتؤمن له منظراً لجسمها في غلالة النوم . . وبما أنه لم يحاول الإمساك بها حين فعلت ليلة أمس ، فلا داعي للخوف ، أليس كذلك؟

لم يكن رأيها قد استقرّ على شيء حين تقدم خطوة ليمسك بذراعيها ، وهكذا أخذ القرار عنها . . وقبل أن يتاح الوقت لجهاز إنذارها أن ينطلق ، كان يحيطها بذراعيه .

خفق قلبها بجنون وهي تلتصق به . . حاولت التراجع ، ووضعت يديها على صدره لتدفعه عنها .

لكن الدفع الذي كانت تنويه كان ضعيفاً ، فقد تحركت في نفسها مشاعر أخرى استولت على إرادتها . . نسيت على الفور لماذا وضعت يديها على صدره ، ورفعتهما إلى كتفيه . وحين وضع يده على رأسها ليريحه على كتفه ، لم تكن تفكر أبداً . . ثم وجدت أن ليس دفئه فقط ما تحسه ، بل هناك نار تتصاعد من داخلها .

قفز قلبها مهتاجاً حين بدأت يداه تتحركان بجرأة أكبر . . انطلقت أجراس الإنذار كلها في داخلها لتصعد إلى رأسها . .

ثم انفلتت منها شهقة ، وأنزلت يديها إلى صدره ، ودفعته . . إلى أن تركها وتراجع .

تمتمت متلعثمة :

ـ أنا.. أنا.. أظن.. من الأفضل أن تذهب. أريد.. أن أستحم.. وأرتدي ثيابي.

لم يحاول مارتن أخذها مجدداً بين ذراعيه، لكن استمرار وجوده معها لم يعطها سبباً للارتياح.. لا شك بأنه يعرف تمام المعرفة ما الذي فعله بها.. فقد تمتم بصوت ناعم كالحرير:

ـ هل أنت واثقة أنك تريدين ارتداء ملابسك.. آني؟

لم تكن تعتقد أنها ستكون واثقة من أي شيء بعد الآن.. لكنها أرادت بيأس أن تكون لوحدها.. ثم وجدت ما يكفي من شجاعة لتذكره:

ـ نحن.. أننا.. لقد وافقت على أن.. عطلة الأسبوع لن تبدأ إلى.. أن نسافر.

أخذ ما يكفي من وقت ليرد.. لكن آني، وهي تحاول إخفاء ذعرها عنه، أخذت تنظر إليه بارتياب وقلق وأحست أنه رجل يحب التحدي.. وأنه رأى شيئاً من التحدي فيما قالته! وأخذ الذعر يتملكها أكثر فأكثر، ولم يكن لديها فكرة عن ردة فعله.

كانت تعي مدى ضعفها، وتصلي للسماء أن يبقى محافظاً على وعده.. وبدا لها أن زمناً طويلاً قد مضى، وكانت على وشك أن تنهار حين سمعت ذلك الصوت الساخر يصلها من الباب:

ـ لا تتأخري في النزول لتناول الفطور.. حلوتي.

تلاشت القوة في ساقيها لحظة خرج وأقفل الباب وراءه.. وكم كانت مبتهجة لوجود السرير خلفها. وانهارت فوقه.. دماغها يدور في دوامة بسبب هذه المشاعر المتناقضة التي أجبرت نفسها على الاعتراف بها.

كان كل ما يحصل ينبؤها بأن هذا الرجل الذي تكرهه، والذي خططت للسفر معه، قادر بسهولة على إخضاعها مهما حاولت الاختباء من هذا الواقع.

* * *

www.elromancia.com

٥ ـ لا تجرؤي أن تحلمي

وجدت آني أن مارتن لم يعد يرتدي الروب، بل بنطلوناً وكنزة شبيهين بما كان يرتدي بالأمس.. وهذا ما ساعدها على تهدئة روعها بعد أن انضمت إليه في المطبخ.. إنه يثير اضطرابها بما يكفي دون أن ترى المزيد من دلائل قوته وحيويته.

قفزت ذكرى يديه الدافئتين إلى رأسها رغماً عنها، فباتت غير قادرة على الكلام وهي تجلس في المكان الذي أشار إليه حول طاولة المطبخ.

لكن هناك مفاجأة ثانية بانتظارها، فحين وجدت الجرأة الكافية لتنظر إليه، وجدت أن البريق الذي لمع في عينيه ساعة رمت بالتحدي في وجهه قد خبا.. وبشكل غريب لم تعد تسمع السخرية في صوته حين اقترح أن تأخذ وقتها في تناول الوجبة الأولى لذلك اليوم، قائلاً إنه يفضل البداية المسترخية.

قالت:

ـ كنت أتوقع أن تكون دائماً على استعجال من مكان إلى آخر.

ـ للحياة العملية ضغوطاتها، ولهذا السبب، ومتى استطعت، أحب أن أعيش على مهلٍ في عطلات الأسبوع.

كادت آني تُعجب به.. لكن ليس تماماً.. فهو لم يرد بأي تعليق مزدوج المعنى عن عطلة الأسبوع هذه.

كانت الساعة قد بلغت التاسعة حين انتهت وجبة الفطور.. وعادت آني إلى غرفتها لتحضير حقيبتها وانشغل مارتن بتلقي بعض المخابرات.. ورن الهاتف مرة أخرى بعد أن خرجا معاً، فتجاهله متمتماً وهو على عتبة الباب:

ـ لن نصل إلى هناك قبل منتصف الليل على هذا المعدل.

سرعان ما كانت تجلس إلى جانبه، والسيارة تتحرك.. وعرفت عندها أن عطلة الأسبوع قد بدأت.

كانت مخدرة الإحساس، فبقيت صامتة في الساعة الأولى من الرحلة، ولم يكن لدى مارتن أي تعليق يقوله كذلك.. لا بد أنه ممن يفضلون السكوت وعدم الحديث خلال القيادة.

فجأة سألته باستعجال:

ـ ألن نذهب عبر الطريق الرئيسية؟

ـ بدا لي أنك كنت تتمتعين بالمناظر من نافذة غرفة نومك.. فعرفت أن لك عيناً تحب جمال الريف.

أدهشها أن يختار أجمل طريق لأجلها فقط، واكتشفت اهتماماً بما حولها لم تلحظه من قبل، مع ذلك ردت ببرود:

ـ لم أطلب منك هذا.. إلى أين نحن ذاهبان؟

قال بلطف يكفي:

ـ اعتقدت أن «يوركشاير دالز» قد تروق لك. لكن إذا..

ـ «الدالز» يبدو مكاناً جيداً.

وأدهشها ثانية أنه لم يكن يفكر بنفسه فقط. وهذا ما شوّش تفكيرها قليلاً.. فقد قرر لأجلها أن يسلك طريقاً ريفية تكلّفه ساعات من القيادة الإضافية.. ليس هذا فحسب، بل اختار أن يأخذها إلى منطقة كانت تعرف من زيارتها لها وهي طفلة مع أبويها، أن فيها أجمل

المناظر الريفية.

لكن هذه الفكرة أشعرتها بشيء من الحزن.. فقد تذكّرت رحلات الطفولة التي كانت تقوم بها مع والديها إلى وديان «يوركشاير» والتي تسمى «دالز»، والسعادة التي كانت تشعر بها.. لكنها كانت تعلم بكل تأكيد، انها لن تربط «الدالز» مرة أخرى بذكريات الطفولة.

قالت له:

ـ والداي كانا يأخذانني أحياناً إلى «الدالز» وأنا صغيرة.. وكورتيس كذلك.. كلنا كنا نحبها، خاصة كورتيس.

وذكرت هذا لسبب وجيه.

لم يعبّر مارتن قط عن أي اهتمام، ولو صغير، بكورتيس أو سألها عما إذا كانا يمرحان في ريف «يوركشاير» أم لا. بدل ذلك، أدار دفّة الحديث إلى موضوع آخر، فسألها:

ـ هل والداك سعيدان في زواجهما؟

ـ سعيدان جداً.. إنهما سعيدان الآن كيوم تزوجا، رغم أنهما متزوجان منذ زمن بعيد.. كورتيس الآن بعمر الرابعة والثلاثين.

كادت تكمل الموضوع، لتجعله يشعر أنه لولا تطفله لكان زواج كورتيس سعيداً كذلك.. لكن جانباً فضولياً منها دفعها لتسأل:

ـ وماذا عنك؟ هل والداك سعيدان في زواجهما؟

هز كتفيه:

ـ إنهما سعيدان.. لكنهما لم يعودا متزوجين.

ـ مطلقان؟

نظر إليها بسرعة، ثم أعاد نظره إلى الطريق وهز رأسه إيجاباً.. ووجدت أن فضولها ما زال يعمل. وأدهشها أن تشعر بالفضول حيال شيء يخصّه.

سألت:

ـ ألهذا السبب لم تتزوج أنت؟

لمحت بسمته، لكنها سرّت حين لاحظت أن سخريته ما زالت غائبة.. قال:

ـ لا.. ولا تجرؤي أن تحلمي بوجود أي مشاكل نفسية تمنعني.. سنواتي الأولى أمضيتها في مدرسة داخلية.. حين كنت أعود إلى البيت، لم أكن أجد والديّ هناك.

وهذا يعني أنه في العطلات المدرسية، كانت مدبرة المنزل ترعاه.. حين تذكرت آني الاحترام الذي يكنه للسيدة راوندي، رأت أن لا عجب أن يولي مثل هذا الاحترام لمدبرات المنزل عموماً.

سألت:

ـ هل كنت تعي، وأنت صغير، أن زواج والديك لم يكن سعيداً؟

ـ أعي.. بالطبع. كان كل منهما يذهب في طريقه المنفصل عن الآخر.. ولم أصدم حين قال لي أبي إن زواجهما انتهى.

لماذا يجب أن تشعر بشيء من الشفقة حيال حياته المنزلية التعيسة مع والديه؟ بالتأكيد، هذا النوع من الرجال لا يستحق الشفقة ولا يحتاج إليها. لكنها لم تستطع منع الإحساس بالإشفاق، فقد أدركت، وعلى ضوء طفولتها السعيدة، أن مارتن لا بد أنه مرّ بأوقات تعسة ممزقة.. وهذا ما جعل صوتها رقيقاً حين سألته بهدوء:

ـ هل عرفت يوماً.. دفء الحب؟

عرفت بسرعة أنه يستخفّ بشفقتها وأحاسيسها المرهفة.. فقد ظهرت السخرية مجدداً على ملامحه حين قال:

ـ وهل أفادك مثل هذا الحب؟

ـ أنا لم أكن أقصد التطفل على . . . حياتك العاطفية! كنت أتساءل فقط عن والديك . . عما إذا . .

أدركت فجأة أنه أساء فهمها، ولم تستطع إنهاء سؤالها.

لكنه قام بالمهمّة عنها، فأنهى السؤال الذي كانت قد بدأته:

ـ أنت تتساءلين عمّا إذا كان هناك شيء من الحب في ذلك البيت؟ ما لم تكوني تملكينه . . لا تفتقدينه أبداً.

ران الصمت عليهما مرة أخرى . . ثم أخذت آني تقول لنفسها أن من الواجب أن يتكلما في شيء ما! ولم تستطع مقاومة سؤال آخر:

ـ هل كان لنقص الحب في بيت أبويك وخلافاتهما المستمرّة، تأثير في قرارك الاستغناء عن الزواج؟

ثم أكملت توضح فكرتها وهي لا تدري لماذا سارت في هذا المسار.

ـ أعني . . هل اتخذت قراراً نفسياً بأن لا تتزوج لأنك تعرف أن أي زواج سيكون مقدراً له أن ينتهي بالطلاق؟

ناور مارتن بالسيارة حول سيارة أمامه، ثم أحست آني مجدداً أنه لم ينزعج من فضولها . . رأت زاويتي شفتيه ترتفعان، واعتقدت أنه وجد سؤالها مسلياً، ثم علّق بخفة:

ـ ها قد عدت مرة أخرى . .

ـ أتطفل؟

تمتم:

ـ لا، بل تحللين الأمور نفسياً . . بالرغم من أن نظريتك مثيرة للاهتمام . . أعترف أنني أريد معرفة المزيد . . مثلاً، لماذا في رأيك القيّم، قد أرغب في أن أنسى بهجة الحرية التي أتمتّع بها خلال عزوبيّتي، وأربط نفسي بالزواج . . ثم ينتهي هذا الزواج بالطلاق؟

لذعتها سخريته حين قال «رأيك القيّم» . . ووجدت نفسها تتمنى لو لم تطرح السؤال . . ولذعها كذلك، أنه وبالرغم من عدم ظهور غضبه، كان يقول لها وبوضوح . . أن تلزم حدودها.

ردت:

ـ إنه استنتاج مسبق . . أليس كذلك؟ غني عن القول أن ما من امرأة رغبت في تبادل قسم الزواج معك، لتجد نفسها وحيدة لبال طويلة، وأنت تجري وراء حقول أكثر اخضراراً.

ظنّت أن هذا سيضع حداً لسخريته. لكن . . لا . . فقد لمست سخريته حين أجاب:

ـ أشكر الله أنني لست من النوع المزدوج . . مع أنه من الواضح أنك لم تسمعي بالقول المأثور، إن الفاسقين التائبين هم أفضل الأزواج.

ـ ولن أرغب في أن أجرب هذا.

ـ استريحي حلوتي آني . . فهذا اختبار لا يمكن أن تواجهيه معي.

وتمنت لو تضربه.

جعلها تلميحه القائل أنه لا يمكن أن يطلبها يوماً لزواج تغلي غضباً . . وبقيت صامتة خلال المرحلة التالية من رحلتهما، ولم يبدِ مارتن أي ملاحظة حول هذا.

لكن، بينما هو يوقف السيارة خارج نُزُل قديم، ويقول لها إنهما سيرتاحان هناك لتناول الغداء، كانت قد بدأت ترى أنها اعتبرت ملاحظته شخصية، وأخذتها على محمل الجدّ أكثر ممّا ينبغي . . استدار ليفتح لها الباب . . بينما هي تخرج، نظرت إلى وجهه . . كان جميلاً بالرغم من تجهمه الآن . . فجأة، وعلى الرغم من كل أفكارها المسبقة، اكتشفت أنها لا تريد أن تعاديه، بل تريد صداقته كما تريد أن يعود إلى مرحه مرة أخرى. ووجدت بأن من الأفضل أن لا يبقى متجهم الوجه،

أرادت أن يبقى مبتعداً عن فكرة أخذها إلى الفراش معه.. لذلك طالعته بابتسامة.

وجّه نظرة ثابتة إلى وجهها المبتسم، فأطرقت برأسها، لكن قوله: «عظيم».. جعلها ترفع عينيها إليه مجدداً.. كاد قلبها يقفز من صدرها حين رأت أن ابتسامتها وبطريقة عجائبية، قد فعلت فعلها، فعاد المرح إلى وجهه.

سألت:

ـ عظيم؟

قال بمرح:

ـ أخيراً لم تعودي مكتئبة..

قالت غاضبة:

ـ أوه.. دعك من هذا!

انفجر ضاحكاً، فهو في الواقع تلقى وبفظاظة ما يقرب من قول «أُصمت» من هذه الفتاة النحيلة الطويلة إلى جانبه.. ثم أمسك مرفقها وسار بها نحو نزل العربات فلم تستطيع إلا أن تشاركه الضحك.

أكانت تلك الوجبة التي تناولاها وهما يضحكان، أم واقع وجودهما بين الناس، السبب في إحساسها بالاسترخاء؟ لم تكن تدري. لكن، من تعليقاته خلال الطعام التي جعلتها تبتسم مجدداً، أدركت أن الفتنة وحدها لا يمكن أن تكون كل ما يتمتّع به.

أجوبتها كانت تسلّيه، وكان ينظر إليها وكأنه يجد صحبتها ممتعة.. كل هذا كان جزءاً من فتنته، وكان عليها أن تعترف أن إحساسها بالخفة ليس له دخل بالجو الجميل الشاعري حولها.. بعد انتهاء الطعام تراجع قليلاً ليسمح لها أن تسبقه، وسألها والإعجاب في عينيه:

ـ هل تذهبين إلى مصفف الشعر، وشعرك بمثل هذا اللون الرائع؟

تمتمت:

ـ صدق هذا.

وتقدمت أمامه إلى الباب، حيث افترقا لتذهب إلى غرفة السيدات.

الاحمرار الزهري الذي بدا على خديها وهي تنظر إلى المرآة لإصلاح أحمر الشفاه، جعلها تعود إلى أرض الواقع.

أوه.. يا الله! لا.. لقد مرت بمثل هذه الكارثة حين وقعت في حب رجل من هذا النوع من قبل. ولا يمكن أن يحدث هذا لها مجدداً.. لا يمكن!

بعد عشر دقائق، وبعد أن أنبت نفسها بما يكفي، تركت غرفة السيدات وهي متأكدة أن خوفها لم يعد له مبرر.. صحيح أن فتنة مارتن غورارد تصيب بالدوار، لكن بما أنها تلقت لقاحاً وافياً ضد سمّ رجال من أمثاله، عادت إليها ثقتها ومناعتها.

حين جلست إلى جانبه مجدداً في السيارة، وانطلقا على الطريق، لم يبد على مارتن أي استعداد للكلام.. بدا مشغولاً بأفكاره، كما كانت هي هائمة مع أفكارها. عادت تذكر نفسها بعناد أنها لن تعطيه ولو ذرة تشجيع.

كان البحر الذي بدا بارداً، لا يزال رمادياً عند حوالي الساعة الرابعة بعد الظهر، حين دخل مارتن بالسيارة إلى الطريق الداخلية لفندق ريفي أنيق.. عندها، بدأ الذعر يتملك آني بشدة.. لقد وصلا!

لم تكن قد سافرت من قبل لقضاء عطلة أسبوع، كما أنها لم تسافر قطّ إلى أي مكان للغرض الذي خطط له مارتن لهذا الأسبوع. كان المرح يغمرها حين وقفت بعيدة قليلاً عن مكتب الاستقبال ومعطفها على ذراعها، وحقيبتيهما عند قدميهما، وتركت لمارتن عملية ملء

طلبات التسجيل . . كانت متأكدة أن الجميع يعرف ما هما مقبلان عليه .

كانت متأكدة أن وجهها مختنق بلون أحمر قانٍ. لم تنظر إلى مارتن، ولا إلى الحمّال حين سار الثلاثة نحو المصعد . . ثم قادهما الحمال إلى غرفتهما .

كانت أعصابها مشدودة تهدد بالانفلات . . وقد منعها توترها من الشعور بالراحة حين أدركت أن ما دخلاه لم يكن غرفة نوم فقط، بل جناحاً مؤلفاً من غرفة جلوس، غرفة نوم، وحمام، ومطبخ صغير .

رأت أن الحمال أدخل الحقائب إلى غرفة النوم، لكنها لم تسمع ما دار بينه وبين مارتن من حديث قصير قبل خروجه .

حين عاد مارتن إلى غرفة الجلوس بعد أن تفحص مكان سكنهما، لم تتحرك آني . . لكنها تحركت حين مد يده ليلمسها . . بينما هي تبتعد بحدة عنه، رأت، متأخرة، أنه فقط كان يزيل خيطاً صوفياً عن كمها . . لكن حركتها الرافضة أغضبته، ووصلتها رسالة غضبه حين صاح وهو في مزاج لا يسمح له بالاحتفاظ بغضبه لنفسه :

- لأجل السماء! لقد وصلنا لتونا إلى هنا! قد يكون من عادة أصدقائك «المتحررين» أن يمزّقوا ثيابك لحظة اقترابهم منك . . لكن الآن، حمام وبعض المرطبات، تروق لي أكثر منك!

ماذا كان يمكن أن ترد؟ لم تكن لتدري . . مهما كان ما يفضله، سواء دوشاً أم لا، فهو لم يتجه إلى الحمام، بل إلى خارج الجناح . .

بالنسبة لها من الأفضل أن لا يعود!

من يظن نفسه على أي حال؟ وماذا يقصد بقوله إنها الآن لا تروق له؟

كلاهما يعرف لماذا هما هنا! هل كان يتوقع أن تتظاهر بأنها لا تعرف؟

ما كل هذا الكلام السخيف عن حمام ومرطبات؟

يا للقذر المتعجرف!

اشتد غضبها إلى درجة الغليان . . تراجعت قليلاً حين سمعت دقاً خفيفاً على الباب، فوجدت الحمال يقف حاملاً صينية شاي لاثنين .

إذن كان مارتن يفكر فعلاً بالمرطبات . . تلاشى كل غضبها وأحسّت بإرهاق فكري وجسدي . . فجأة، تحولت في الجناح إلى أن وصلت غرفة النوم، وخلعت حذائها لتتمدد فوق السرير .

كانت لا تزال تأمل أن يقتصر استخدامها للسرير على هذه الراحة القصيرة التي ستمكّنها من تجديد قوتها النفسية والجسدية . تأكدت أن مارتن، وبسبب غضبه، قد أبعد عن رأسه فكرة الحمام وفنجان الشاي، وأنه خرج ليتمشى .

عرفت أن غضبه سوف يحول دون عودته بسرعة . . هكذا حولت تفكيرها إلى التفتيش عن عذر تستخدمه حين يعود . . ذكرياتها عن كتب قرأتها، وأفلام شاهدتها، قالت لها إن التعلل بالصداع أصبح مبتذلاً . لكن، لم تستطع أن ترى كيف يمكنها أن تدّعي أنها مصابة بنوع من الأمراض الناقلة للعدوى، «كالجدري» مثلاً . .

كانت تفكّر في ما إذا كان التذرّع بلوي كاحلها ينفع، حين بدأ النعاس يستبدّ بها .

بعد حوالي ساعتين، فتحت عينيها حين سمعت صوتاً قريباً . . بشكل غريب، وربما لأنها كانت نائمة ومسترخية، لم تشعر بالخوف حين عاد مارتن وانحنى فوقها . . فقد كان ينظر إليها بلطف، وليس بالعدوانية التي كان عليها .

وأدركت، دونما انزعاج، أن الصوت الذي أيقظها لا بد أن

يكون حركته وهو عائد. وسألته بلهجة طبيعية جداً:

ـ هل كانت نزهتك لطيفة؟

رد بنعومة وعيناه لا تغادران وجهها:

ـ لطيفة جداً.. وجميلة!

بدأت دقات قلبها تتسارع مع اقترابه منها قليلاً.. وشعرت ببعض الارتباك حين فكّرت أن وصف الجمال يمكن أن يكون لها وليس للمناظر في الخارج.. ثم، بلطف لامس فمه جبينها.

وجدت نفسها مسمّرة.. لكن الارتباك ما لبث أن عاد إليها، حين اكتشفت أنها تريده أن يعانقها.

حين نظرت إلى عينيه الرماديتين المبتسمتين، لم تتمالك نفسها من الابتسام.. وازدادت سعادتها حين استجاب لها بابتسامة مماثلة.

تراجع مارتن عنها.. لكن إدراكها أن كل مشاعرها كانت تطلب منه المزيد، صدمها. وانتزعت نفسها من العالم الوردي الزائف الذي وجدت نفسها فيه.

صاحت وهي تنظر إلى معصمها الأيسر:

ـ يا إلهي! هل الساعة هكذا فعلاً؟ من الأفضل أن أغير ملابسي استعداداً للعشاء.

وبدأت تركض باتجاه الحمام، حيث أمضت نصف ساعة مريحة.. لكن هذا لم يكن كافياً لجعلها تفهم سرّ تأثيره عليها.. فمجرد ملامسته لها، تجعلها تنسى كل شيء ما عداه.. لكنها كانت تعي أنها يجب أن تخرج من الحمام، فأخذت بضع دقائق أخرى لتهدىء نفسها، ثم فتحت الباب.

لم تبق طويلاً في غرفة النوم، بل خرجت إلى غرفة الجلوس حيث وجدت مارتن جالساً يتفحص صحيفة لا بد أنه اشتراها وهو في الخارج.

قالت:

ـ يمكنك استخدام الحمّام.

لكن مارتن كان قد وقف..

لماذا مجرد نظرة يرميها بها، تجعل قلبها يتصرف كالعنزة المشاكسة؟ ووقفت دون حراك بينما هو يتأملها بفستانها الطويل الأحمر بياقته المخرمة. وتمتم:

ـ كما قلت.. جميلة!

ـ شكراً لك.

ثم أطلقت أنفاسها بعد أن اتجه إلى الحمام.

كان وجهها يخلو من التبرج، لأن أدوات زينتها كانت في حقيبتها الصغيرة الموجودة في غرفة النوم.. أدارت ظهرها إلى باب الحمام، ووضعت الزينة على وجهها حيث هي، دون الجلوس إلى طاولة الزينة في غرفة النوم.. مرة أخرى أخذت تبحث عن أفكار جديدة.. ربما نزيف الأنف أمر مقنع، لكنها رفضته كما رفضت الكاحل الملتوي، بالرغم من أنه مقنع.. وحين بدأ الذعر يتمسك بها مجدداً، قررت أن تفعل شيئاً.. ثم قلبت حقيبة يدها تفرغها.

أحست ببعض الراحة وهي تشغل نفسها بأشياء صغيرة كانت في حقيبتها المقلوبة على الطاولة. وتساءلت لماذا تحمل كل هذا معها.. لكنها اكتشفت وهي تعيد كل شيء، أنها بحاجة إلى كل غرض.

وحين التقطت جواز سفرها، ثم الغرض الأخير وهو الفرنكات الفرنسية، سمعت صوتاً مرحاً من ورائها:

ـ كان من المفترض أن أقدم أنا لك هذا المال.

استدارت متصلبة وقد جفت حنجرتها، إذ لم يكن مارتن قد ارتدى قميصه بعد.. وابتسم فجأة بعد أن عرف بحدة نظرته أن المال يكفي ثمناً لهروبها منه في باريس. ولم تستطع آني، رغم محاولتها، أن تمنع نفسها من الابتسام كذلك.

كانت لا تزال تحتفظ بابتسامتها حين نظر مارتن إلى وجهها المرتفع نحوه، وتلاشت ابتسامته.. بسرعة خبت ابتسامتها.. حين أراح يديه على كتفيها، أحست فجأة بالجو يتوتر بينهما.. وبقيت مجبرة على النظر إليه لأنه بدا لها غير قادر على إبعاد عينيه عنها.. ثم، مثل مشهد يمرّ بالسرعة السينمائية البطيئة، تراجعت يداه عنها، لتعودا إلى جانبيه.

كسرت تلك الحركة السحر الذي لفها.. ومع استعادتها حرّية جسمها، استدارت في كرسيها وهي بحاجة ملحة إلى إبعاده عن نظرها.. لكن، بالرغم من عدم رؤيته، كانت لا تزال مضطربة، كما كان التوتر يملأ الجو. تستطيع أن تشعر به، أن تلمسه تقريباً.. ولم يقل مارتن كلمة واحدة.. ومع أنها لم تسمعه يتحرك، فقد أحست به يقترب ليقف قرب كرسيها.

جلست آني متصلبة، تشعر بوجوده كما لم تشعر به من قبل.. وارتفعت يداه على كلا جانبيها من الخلف، ثم تحركت يداه على ذراعيها، لا يلامسها فقط بل يشدها. بعد برهة، زال الضغط عن ذراعيها وعرفت أنه خرج من الغرفة. وبسرعة، بدأت تستعيد وعيها من لحظة الانفعال المشترك، ثم عاد مارتن إليها مرتدياً كل ثيابه.

ـ مستعدة؟

كانت تعي وجوده الغامر، وهما يسيران جنباً إلى جنب في الرواق، ثم ينزلان في المصعد. وتمنت آني أن تبقى مسيطرة على مخيلتها، فلا تتخيّل أن كل من ينظر إليهما يعرف أنهما يتشاركان جناحاً واحداً، دون زواج.

خرجا من المصعد ليقترح عليها:

ـ هل ترغبين في شرب شيء قبل العشاء؟

وبدا لها هذا الاقتراح الأفضل منذ وقت طويل.

ـ أرغب ببعض المرطبات.

دسّ يده تحت مرفقها، ثم قادها نحو مقصف قاعة الاستقبال..

لكن أنّى لأي شراب أن يساعدها على استعادة نشاطها وإراحة أعصابها، بعد المفاجأة التي رأتها من قبل أن تضع قدمها داخل قاعة الاستقبال.. فقد فتح مارتن لها الباب ووقف جانباً لتدخل. وحين نظرت إلى داخل الغرفة، توقفت مسمرة وكأنها تحولت إلى تمثال من حجر..

مسمّرة.. أجراس الإنذار تضج في رأسها، حتى شعر رأسها كاد يقف.. واجهت عيناها القلقتان شخصين لم تكن تفكر بهما، وكانت تظنهما يقضيان العطلة في مكان آخر، على ساحل «وايلز»!

مصدومة حتى أعماق نفسها، لم تعد تعي وجود مارتن ينتظرها لتتقدم.. ذعرت.. فمن بين كل الأماكن، هما هنا.. اختارا المكان عينه الذي اختاره مارتن لقضاء عطلة الأسبوع.. وغادر كل لون وجهها، لكن الوقت كان قد فات لتطيع مشاعرها التي كانت تملي عليها أن تستدير وتهرب لتختبيء.. فقد استدارت عيون الزوجين نحو الباب.. لقد شاهدها والداها!

٦ ـ الطعنة

وقفت آني متحجرة، حتى يد مارتن التي تضغط ذراعها وتشدها إلى الأمام، لم تؤثر عليها. ولا بد أن الشخصان المسمرة عيونهما على الباب، عرفا أنها ليست لوحدها.

لكن إذا كان دماغها قد تعطل نتيجة الذعر، فإن نظرة واحدة ألقاها مارتن على وجهها الشاحب المصدوم جعلته يعرف فوراً أن شيئاً ما يزعجها كثيراً.

سأل بحدة، وجسمه الكبير يحجبها عن عيني والديها دون وعي منه:

ـ ما الأمر؟

همست بيأس:

ـ أمي وأبي.. والداي.. إنهما هنا!

تقبّل مارتن هذا دون أن يبدو عليه شيء من الذعر الذي كانت تظهره.. وعرفت آني أنه لا يهتم البتة بمن يعرف كيف يقضي عطلته.. وبقي بارداً وهو يسأل:

ـ أليس والداك من ذوي الأفكار المنفتحة؟

ـ لا.. بالنسبة لي، لا.

ـ وهل لمحانا؟

هزت رأسها إيجاباً، فقال معلقاً:

ـ إذن عزيزتي آني.. من الأفضل أن تقدميني لهما.

لم تستفق من صدمة قوله المذهل، حتى بعد أن هزت رأسها

بشدة.. لذلك أخذ زمام المبادرة ولم يترك لها الخيار إلا أن تقدمه لهما، فقد حرك درع جسمه من أمامها.. ورأت آني والديها مجدداً.

قال لها مارتن:

ـ اظهري بمظهر السعادة.

لكنها لم تشعر في حياتها بأنها أكثر تعاسة من الآن.

بطريقة ما تمكنت من إطاعته، بعد أن أجبرها ويده على ذراعها أن تتقدم إلى الأمام.. وحين جالت عيناها في المقصف، أدركت أن مارتن كان يقودها بعيداً عن المكان الذي يجلس فيه والداها. هزّت نفسها.. فكيف له أن يعرف والديها.. ومع ذلك كان الذهول على وجهيهما يدل عليهما. وضعت يدها فوق يده التي تمسك بذراعها وأوقفته:

ـ والداي.. موجودان هناك.

ابتسم، وعرفت من ابتسامته أنه كان يعرف مكانهما وأنه فعل هذا كنوع من الغطاء أمام عين من كان ينظر إليهما.

كان والدها قد وقف ما أن وصلت مع مارتن إليهما.. ولم تضطر آني إلى استدعاء قدراتها على التمثيل وهي تصيح:

ـ ماذا تفعلان هنا؟

رد والدها وعيناه تلتفتان إلى مارتن:

ـ كنت على وشك أن أسألك السؤال عينه.

تأخرت آني قليلاً في الرد.. لكن مارتن نظر إليها نظرة ود، وتقدم يمد يده اليمنى إلى والدها.

ـ آني تغمرها السعادة لرؤيتكما، حتى أنها نسيتني.. أنا مارتن غورارد.

بعد أن صافح والدها، تحرك ليصافح أمها. وقبل أن تتمكّن آني

من إدراك ما يجري، كان الأربعة يجلسون حول الطاولة الصغيرة، وأمها تبتسم له ربما لسماعها باسمه من لينور، دون أن تعرف شيئاً عن سمعته.

ـ زوجة ابني.. لينور.. تعمل في مؤسستك. هل هكذا تعرفت على آني؟

قال مارتن بلطف:

ـ آني وأنا تقابلنا فعلاً من خلال لينور.

وتكهربت أعصاب آني.. فهي لم تستبعد منه أن يكون ضعيفاً لدرجة أن يذكر ظروف أول لقاء لهما.. لكنه كان يبعد تفكير أمها تماماً عن كيفية لقائهما، ويقول:

ـ زوجة ابنك لها قيمة كبيرة لدينا.

اطمأن بال آني من هذا الاتجاه، وانضم والدها إلى الحديث ليقول لمارتن كم شعرا بالفخر حين سمعا بترقية زوجة ابنهما، وبدأت آني تركز كل آمالها على فكرة أن والديها قررا بعد التقاعد العودة إلى النزل الذي قضيا فيه أسعد الأوقات، وأنهما دخلا هذا الفندق فقط لتناول المرطبات. لكن آمالها تلاشت، وحل مكانها اليأس، بعد أن عادت إلى متابعة حديث أمها:

ـ.. هكذا قال ويسلي إنني أستحق قليلاً من الترف. ولم يقل لي إنه حجز لنا هنا لأسبوع كامل، إلى أن أوقف السيارة في الخارج.

سألت بضعف:

ـ وهل تقيمان هنا؟

ردت بلايت:

ـ وأنا فوجئت كذلك! حين عرفت أننا نتجه إلى هنا، كنت متأكدة أننا سنقضي الليلة تحت سقف منزل السيدة تومب..

والتفتت إلى آني تسألها، ثم تكمل:

ـ ألا تذكرين السيدة تومب؟ لكن حين توقفنا هنا وأخرج والدك الحقائب من السيارة..

انقطع دفق كلامها حين تقدم أحد السقاة يحمل بيده لوائح طعام مغلفة بالجلد الفاخر.. شعرت آني أنها ستصاب بنوبة قلبية حين سمعت صوت مارتن يقول بنعومة:

ـ أنا واثق من أن آني تريد قضاء أكبر وقت معكما.. فهل أحجز طاولة لأربعة؟

كيف تمكنت من إبقاء الابتسامة على وجهها وهي ترتجف ذعراً؟ لم تكن تدري.. وابتعد الساقي ليحضر لهم طاولة لأربعة.. وعرفت أن ليس هناك من مجال أن لا يعرف والدها بأنها تقيم ومارتن هنا في الفندق.

سنحت لها فرصة قصيرة بينما كان والدها مشغولاً بتحمل ضحك زوجته منه لألفاظه الفرنسية بينما كانا يدرسان لائحة الطعام.. وهمست لمارتن:

ـ هل كان يجب أن تقترح أن نتناول الطعام معهما؟

تمتم بسخرية:

ـ يمكن أن أقول لهما إننا غيرنا رأينا، وسنتناول الطعام في جناحنا، إذا أحببت.

ثم التفت إلى أبويها يحدثهما بسهولة إلى أن جاء دور الأربعة للانتقال من قاعة الاستقبال إلى المطعم، ولكن ذعرها عاد للتصاعد بعد لحظة، وهذه المرة كان والدها هو السبب.

قال:

ـ لم يكن لدينا فكرة أن آني تخطط لزيارة هذه المنطقة هذا الأسبوع.

كانت آني تهمّ بتناول قطعة من البطيخ، لكنها ما لبثت أن تركت الشوكة من يدها.. فهي تعي أن والدها، وهو ليس بالغبي، سوف يعبس بشدة وتزول شهيته للطعام، إن أخبره مارتن بصراحة عن سبب هذه العطلة..

لكن، ومع اتجاه تفكيرها للتفتيش عن وسيلة تخفف الصدمة، كان مارتن يرد:

ـ ولم يكن لدى آني فكرة عن هذا كذلك، حين انطلقنا في الرحلة.. لكن حين عرفت بالعطلات السعيدة التي قضتها في هذه المنطقة من العالم، وكم تحب «الدالز»..، بدا لي أن مرورنا بهذا المكان لا يشكل عائقاً لنا في طريق زيارتنا لأمي زيارة مفاجئة.

ابتسم أبوها، وابتسمت أمها كذلك.. ثم سألت بلايت مارتن أين تعيش أمه، واتجه الحديث إلى اتجاهات أخرى، بالكاد استوعبتها آني.

زيارة أمه! وأحست بالصدمة.. لكن مهما كانت القصة التي يرويها لأبويها حول أمه وكونها مصابة بالأرق ولا تنام قبل ساعة متأخرة من الليل، فإن آني كانت مصابة بالذهول لإدراكها أن السبب الوحيد لإخباره والديها عن حقيبة الملابس في الجناح، لا بد وأن يكون لمجرد حمايتها!

كان مارتن في منتصف كلامه حين وعت آني ما يقول:

ـ .. حين بدأت معدة آني تقرقر جوعاً، قررت أن نتوقف هنا ونتصل لنخبر أمي أننا في طريقنا إليها.. لكن، على أن لا نتوقعنا على العشاء.

ابتسم والداها إعجاباً بقرار مارتن، لأن هذا كان يعني فرصة لهما لرؤية ابنتهما.. وبدا والدها بشكل خاص أكثر ارتياحاً الآن وقد عرف أن السيدة غورارد ستكون العين الساهرة على ابنته تلك الليلة.. لكن

أمها فكرت أن تسأل:

ـ ألم تنزعج أمك من وصولكما المتأخر وحاجتكما إلى غرفتين؟

ـ والدتي تحب المفاجآت.. ولقد مضى وقت طويل منذ زرتها.

قالت بلايت بلهجة آسفة:

ـ ابني في البرازيل الآن.

ـ هذا ما قالته لي آني.. آمل أن يكون بخير.

وكان هذا سبباً لانفتاح الأم في حديث مطول عن كورتيس وكل ما أنجزه.

بقيت آني ساهمة ما تبقى من وجبة الطعام، دون شيء تقوله.. ولم تستطع قول كلمة اعتراض على ما كان مارتن يقول لأبويها.. ثم إنه دفع أمها بكل لباقة إلى الحديث المتفاخر عن كورتيس، ولم يكن في نيتها إثارة المزيد من التساؤلات.. لكنها كانت تعي بشدة أنها حتى ولو تمكنت من الصعود إلى الجناح معه تلك الليلة دون معرفة أبويها أنهما يقيمان معاً، فالذعر كان يتملكها من إمكانية اللقاء بهما مجدداً وقت الفطور.

ـ أنت هادئة جداً عزيزتي!

رفعت رأسها لترى أن أمها قررت أنها لن تستمر في إزعاج مارتن بكلامها عن ولدها وذكائه اللامع.. إلا أن آني لم تجد ما يدلّ على السأم في وجه مارتن.. مع ذلك من الأفضل أن تغير الموضوع.

ابتسمت لأمها:

ـ لا زلت أحاول التغلب على دهشتي لرؤيتكما هنا، في وقت ظننت أنكما تتشمسان على شواطىء وايلز المغطاة بالثلوج.

استدارت الأم لتشرح لمارتن السبب.

لكن بينما هم يتوجهون إلى قاعة الاستقبال مجدداً لتناول القهوة،

سارت آني مع أمها في المقدمة. أعطت الأم تفسيرها الخاص لتوتر آني:

ـ لا تخافي عزيزتي من لقاء والدة مارتن، أنا واثقة أنها ستحبك.

أنقذت آني من الرد حين تقدم مارتن ليفتح باب «الصالون» لهم. وما إن جلسوا حتى أصبح من الواضح لها أنه يعتقد أنها لا بدّ أن تكون قد تخلصت من صدمتها الآن.. فنظر إلى ساعته وطلب الإذن بالانصراف.

قال مبتسماً:

ـ لدي مخابرة عمل أجريها الآن. لكنها لن تطول.. في هذه الأثناء، سأترك آني لتتحدث معكما.

فجأة أحست أنها تكره ثقته المتعجرفة بنفسه والتي قضت على أي مخاوف يمكن أن يبديها والداها حولهما.. تمكن من الابتعاد بهدوء ليتركها لوحدها تواجه الوابل المنهمر من قذائف الأسئلة التي لا بد أن تنهال عليها.. وكانت واثقة أن عذر المكالمة من ابتداعه.

ما أن ابتعد حتى قالت الأم بإعجاب:

ـ لا بد أنه يعمل جاهداً.. آني.

ـ هذا.. صحيح.

ـ هل.. الأمور.. جدية بينك وبينه؟

ولم تعرف آني كيف تجيب.. بالرغم من أن مشاركته الفراش بالنسبة لها شيء جدي وخطير.. وأحست بالامتنان لمقاطعة والدها:

ـ مهلك بلايت.. أعرف أنك تتوقين لليوم الذي ترين فيه آني بالثوب الأبيض.. لكن..

ردت الأم:

ـ لكنه يأخذها لمقابلة أمه.

والتفت الاثنان متسائلان نحو آني..

بدأ العرق البارد يتفصد من آني، لكنها أجبرت نفسها على قول شيء ما.

بدأت:

ـ أنا..

ثم غيرت رأيها إلى القول:

ـ الوقت.. مبكر قليلاً لأعرف.. كيف ستكون الأمور بيننا.

وجدت نفسها تتمنى عودة مارتن.. إنها تحتاج إليه ليرد عنها أسئلة أبويها.. كان لا يزال لديها أمل، ولو ضئيل، أن يبقى هذا الشخصان الحبيبان جاهلين للحقيقة.

نظرت الأم إلى زوجها بمحبة وقالت:

ـ أذكر كم كنت متكتمة حول حبي لأبيك إلى أن تأكدت من حبه.. وأظن أن مارتن رجل مهذب «جنتلمان».

ابتسمت آني، متمنّية أن يبقى على تصرفاته اللائقة التي رأتها أمها وهما لوحدهما في الجناح، حين يتلقى الرفض منها.

لكنها سألت:

ـ كيف كان حال الخالة ڤيڤيان حين شاهدتماها؟

منذ تلك اللحظة، أصبحت الخالة ڤيڤيان التي أجرت الكثير من الصور الإشعاعية، الموضوع الرئيسي للحديث. وعرفت آني أن الأطباء لم يصلوا بعد إلى تشخيص مرضها ولا زالوا يتناقشون حوله. لكن آني لم تكن قادرة على منع نفسها من النظر باستمرار نحو الباب.. وهذه المرة رأته ينفتح ويدخل مارتن منه.

توقفت بلايت كابلان عما كانت على وشك أن تقوله بعد أن رأت أنها خسرت اهتمام ابنتها. لكن الابتسامة ظهرت على وجهها، ولم

تعجب لأن تهتم ابنتها أكثر بالرجل الطويل الوسيم المتقدم نحوهم.

قال:

ـ أعتقد أننا يجب أن نتابع طريقنا.. لقد نظرت إلى الخارج، والثلج يتساقط الآن بشدة.

أشعرتها الصدمة بالخدر، وأخذت تحاول فهم ماذا ينوي الآن.. تطلعت آني إليه وهو يقول لوالدها أي طريق ينوي أن يسلك.. ولم تعد تحتاج إلى تلميح أكثر لتقف، بالرغم من أنها لم تعلم إلى أين سيتّجهان.. وأمسك لها معطفها لتدس ذراعيها فيه، قائلاً:

ـ تركت هذا في السيارة.. وستتجمدين برداً من دونه حين يصدمك الهواء البارد.

ثم وقفت أمها تعانقها بشدة، وهمست لها أن عليها أن لا تقلق، مكررة أنها واثقة أن السيدة غورارد ستحبها.. ثم اتجهت الأم لتصافح مارتن، بينما احتضن الأب ابنته. وبعد بضع دقائق، وجدت آني نفسها تجلس مع مارتن في سيارته. هبّت عاصفة ثلجية شديدة من حول السيارة وهي تتحرك.. وكان رأس آني لا يزال دائخاً من تحول الأحداث، وحاولت أن تفهم شيئاً مما يجري.

سألت:

ـ هل تركنا الجناح في الفندق؟

رد:

ـ الحقائب في صندوق السيارة.

لكن صوته بدا متجهماً.. ربما لأنه اضطرّ لترك الراحة التي كان سيوفرها له الفندق بحرارته المركزية في مثل هذا الطقس اللاذع.. أخذ الدفء ينتشر في جسم آني، وعرفت أنه استغل عذر إجراء المكالمة الهاتفية لإخراج الحقائب إلى السيارة، وأنه لأجلها ترك الفندق.. وكان

عليها أن تقول شيئاً:

ـ شكراً لك مارتن.

لم يرد.. لكن مع عدم وجود دليل على انقشاع العاصفة الثلجية التي يسيران فيها.. لم تعد آني تهتم بأن يرد.. خلال نصف الساعة التالية، كانت حالة الطقس تفرض بطء سيرهما، لذا تركته ليركز على قيادة السيارة.

ثم تحركت لتسأل:

ـ هل نحن ذاهبان حقاً إلى منزل والدتك؟

لم ينتزع مارتن عينيه عن الطريق، وكانت آني ممتنة لهذا.. ودون أن تعلم السبب أحست بألم جعل الدموع تلسع عينيها، حين جاء الرد لاذعاً كالسوط:

ـ أنا لم آخذ يوماً أية امرأة لمقابلة أمي، ولن أفعل هذا الآن.

عرفت آني أنه أوقفها عند حدها ووضعها في المكان الصحيح. وأحست بالإحباط بسبب هذه «الطعنة» التي تلقتها.. لكن لو كانت أمه مثله، يجب أن تعتبر أنه يسدي إليها معروفاً.

أخذت أنوار المباني أمامهما تقترب، وأوقف السيارة بعيداً عن الطريق، وأطفأ المحرك خارج نزل صغير. عرفت آني وهو يفتح صندوق السيارة أنها يجب أن تستعيد كل ذرة من معنوياتها.

لم يجدا أحداً وراء مكتب الاستقبال، ولم يسرّه هذا.. انزعاجه الواضح ازداد حدة، بعد أن اضطر إلى الانتظار حتى جاء شخص أخبره أن بالإمكان إيوائهما، إذ أن كثيراً من المسافرين قد هربوا من العاصفة.

مرة أخرى تركت آني أمر ملء بطاقات الإقامة لمارتن.. بدأ الذعر يتمسك بها مرة أخرى، خاصة وأنها رأت مارتن نافد الصبر كشيطان متمرد، لذا فهو لن يكون في مزاج يتحمل مراوغتها متى حان الأوان..

شعرت أن لحظة الحقيقة اقتربت فعلاً.

أخذت ساقاها ترتجفان بشدّة حين امتدت يده إلى ذراعها، وقال بصوت متوتر:

ـ من هنا.. إذا كان هذا «النزل» يقدم خدمة حمال، فأنا لن أنتظره.

رأت من كلامه هذا كم هو نافد الصبر ليصل إلى الغرفة.

لحقت به وهي تحس باستنزاف قواها. بعد أن صعدا سلماً وسارا في ممر، توقف عند أحد الأبواب ووضع المفتاح في القفل.. فأحست بالهزيمة حتى قبل أن تبدأ المعركة..

دفعها مارتن إلى الداخل.. كانت تحاول جهدها إبعاد عينيها عن السرير، حين وضع حقيبتها من يده ثم استقام لينظر من فوق إلى تعبير وجهها المهزوم.. بينما هي تستعد للقتال، جعلها تحدق به كالبلهاء حين قال ببرود:

ـ غرفتي في آخر الردهة.. سأراك في الصباح.

كررت مصدومة دون فهم:

ـ سترا.. ني.. في.. الصباح؟

ـ أحب من نسائي أن يكن راغبات.. لا أن يبدون وكأنهن على وشك البكاء.

كان يمكنه أن يخرج لحظتها دون كلمة أخرى.. لكن، وقد قال ما قاله عن عدم رغبته في امرأة غير راغبة فيه، وأنه قد فاض به ولا يريد أن يزعج نفسه في محاولة تغيير رأيها لتصبح راغبة، وإنها سيكون لها سرير لوحدها، شعرت آني أن شيئاً ما قد انكسر داخلها..

قالت بارتياح:

ـ أوه.. مارتن.

واندفعت إليه دون تفكير واعٍ.. ولم يكن لديها فكرة عما تريده منه.. لكن مارتن نسي غضبه للحظات ورمى حقيبته من يده، وفتح ذراعيه ليحتويها وليعطيها لحظات رائعة من الراحة.. ساعتها، لحظتها فقط عرفت ماذا تريد منه. ولمعرفتها هذه.. لم تعد ترغب في أن تبتعد عنه، وهو يضمها هكذا إلى قلبه.. لم تعد ترغب أن تنتهي هذه اللحظة.

لكنها عرفت هذه الراحة للحظات فقط.. دون أن يحاول معانقتها، كان يدفعها عنه.

قال بحدة:

ـ ارتاحي قليلاً.

وبحركة واحدة، التقط حقيبته وخرج.

استلقت آني وبقيت مستيقظة لفترة طويلة تلك الليلة.. كان من المستحيل عليها أن تنام على أي حال، فعيناها ترفضان أن تجفا.. حتى دون دموعها، كان لديها أفكار كثيرة تبقيها دون نوم.

لماذا هو؟ لماذا مارتن؟ لماذا شعرت بالبهجة وقت الغداء؟ ولماذا تمكّن من أن يفعل بأحاسيسها ما فعل وتقريباً من أول لحظات لقائهما؟ ولماذا وقعت في حبه؟

لماذا أعطت قلبها لرجل يمكنه بكل سهولة وعدم اكتراث أن يرمي امرأة لأجل أخرى؟ رجل لا يمكن أن يبقى مخلصاً لامرأة واحدة.. رجل.. فاسق، أظهر لها أن العلاقة معها لا تروق له الليلة.. الليلة على الأقل، فالغد يوم آخر.. رجل لا يُعرف له قرار.. رجل حتى دون أن يقول «أنا لم آخذ امرأة «لتقابل» أمي بعد ولن أفعل الآن»، عرفت مقدماً أنه، حتى لو كان يهتم بها وهذا غير وارد، فهو بعيد كل البعد عن الزواج.

٧ ـ سقط الحلم الوردي

أملت آني أن تكون مشاعرها نحو مارتن مجرد افتتان عابر، بعد أن ضمها إليه بحنان وهي على وشك البكاء.. لكن حين ردّت على قرع الباب في الصباح التالي، عرفت أنها على خطأ.. بدا أنه نام أكثر بقليلٍ منها خلال الليلة السابقة.. لكن كلامه كان حاداً:

ـ أحضري حقيبتك معك.. فسنغادر بعد الفطور.

ـ سنغادر؟

نظر إليها بعدوانية وهو يتجاوزها ليدخل غرفتها ثم قال بحدة:

ـ لم تكن فكرتي أن ننام في غرفتين منفصلتين.

وكأنما يريد أن يوضب لها حقيبتها إذا لم تتحرك، أمسك بالحقيبة ورماها فوق السرير.. عندها تلاشى كل ضعفها وحل مكانه التمرد.. كالغبية، أعطته كل الأوصاف اللطيفة التي لا يملكها.. السبب الوحيد الذي جعله يتركها وشأنها ليلة أمس، لا بد أن يكون تعبه بسبب قيادته السيارة خلال العاصفة الثلجية، وعدم وجود غرفة لشخصين.. ولقد فضل قضاء ليلة مريحة على أن ينكمش معها في سرير بالكاد كان يسعها.

مع انعكاس الفكرة على وجهها، لم يعد مارتن غورارد رجلها المفضل ذلك الصباح.. وسارعت لرمي أشيائها في الحقيبة.. كانت تميل لأن تقول له إنها لم تكن تنوي مشاركته الفراش. وكان يمكن أن

تطلب إليه أن يعدل عن فكرة الخروج من هذا النزل والذهاب إلى مكان آخر.

حالما انتهت من إقفال الحقيبة، أخذها منها بحدّة وخرج إلى الممر ثم إلى السلم.. ازداد تمردها حتى شعرت برغبة في ضربه حين قال لها في بهو النزل الصغير:

ـ انتظري هنا.

وخرج ليضع الحقيبتين في سيارته.

مجرد تفكيرها بأنها بقيت الليل كله تقريباً صاحية تبكي لأجله دفعها إلى الاعتقاد أنها بحاجة إلى إجراء فحص طبي لدماغها!

قضت دقيقتين تنتظر عودته، ودقيقة أخرى في مراقبة الباب الذي يحيط به الثلج لرؤيته عندما يأتي.. واضطرت للاعتراف أن غضبها منه هو مجرد آلية دفاعية بسيطة، لا أكثر ولا أقل.. إنها تحب هذا المتعجرف الجلف.. ومهما أزعجها، تريد أن تبقى إلى جانبه.

جعلها شخص ما كان ينزل السلم تعي أنها تسد عليه الطريق.. وتقدمت خطوات نحو الباب، فظهر لها مارتن وهو على وشك وضع يده على مقبض الباب. أحست أن تمردها قد تلاشى، وقاومت الخوف من أن تضعف بما يكفي لتبتسم له، مما سيدفعه إلى التساؤل عن سبب التغيير.. بسرعة، ودون قصد، أدارت ظهرها وهو يدخل.

اعتذار آلي كان على وشك الخروج من فمها، بعد أن تراجعت بسرعة ودون انتباه لتصطدم بالشخص المار من ورائها لتوه.. وصاح صوت رجالي:

ـ آني.. حبيبتي!

صدمت لسماع اسمها، هذا فضلاً عن كلمة حبيبتي معه، وارتفع

رأسها لتقول بدهشة:

- روبان بيير!

لكنها لم تكن تدري سبب إحساسها باللامبالاة تجاهه، هي التي ظنته يوماً لا يقاوم.. لقد ظنت نفسها يوماً تحبه، يوم كان يمنحها ابتسامته الفاتنة، وكأنما ليريها أنه ما زال يحتفظ بكامل أسنانه.. لكن هذا كان قبل أن تكتشف وبألم، كيف هو الإحساس الفعلي بالحب..

وضع روبان فتنته قيد العمل:

- أرى أنك لا زلت جميلة كما كنت على الدوام، لكن ماذا...

عندها وصل مارتن ووقف إلى جانبها بثبات.

نظرت آني إلى تعابير وجهه العاصفة، وعرفت أنه لا يرغب كثيراً في أن تكون عطلة الأسبوع هذه مخصصة لمصافحة أناس تعرفهم.. مع ذلك تجاهلت تعبيرات وجهه:

- مارتن.. هذا روبان بيير.. روبان..

قاطعها مارتن بصوت أجش:

- ستعذرنا.. خطيبتي وأنا نريد الانطلاق في أقرب وقت ممكن.

لم تتح لآني لحظة لتفكر بادعاء مارتن أنها خطيبته.. فقد التفّت ذراعه اليمنى على كتفيها.. سواء كانت تريد الذهاب إلى غرفة الطعام أم لا، فقد أجبرها ضغطه على هذا..

أنزل ذراعه عنها بعد أن اختار طاولة، وأرجع لها كرسياً لتجلس.. كانت تتساءل عمّا رأته يوماً في روبان ليسلبها لبها، لكن التمرد ما لبث أن عاد إلى نفسها بسبب فظاظة مارتن وغطرسته المتحكّمة.

لو أنها لاحظت تعبير وجهه غير المبتسم، لعرفت أنه ليس في مزاج ليرضيها. فما كاد يجلس حتى بدأ برميها بالاتهامات:

- أليس هناك مكان تذهب إليه، ولا يعرفك فيه أحد؟

ردت بحدة:

- لا.. على ما يبدو!

- من هذا؟

أبعدت آني عنها فكرة سخيفة طرأت على تفكيرها بأن مارتن يبدو كحبيب غيور.. فهو ليس حبيباً ولا غيوراً. وعندما ابتعدت الساقية الواقفة قرب طاولتهما لتأخذ الطلبات، كانت آني قد فقدت الميل لترد على مارتن بحدة.. فلو أنه لم يكن فظاً، وقاطع تعريفها لهما، لكان سمع دون حاجة للسؤال من هو روبان.

قال:

- حسناً؟

ردت بسخط:

- روبان شخص كنت أعمل له.

- يا إلهي! هل هو من تحبّينه؟

من هذا التعليق، لم تستطع سوى التخمين أن روبان لم يرق له..

وردت بصوت أجش:

- أنا لم أقل إنني ما زلت أحبه.

- لكنك تحبينه؟

ردت بسؤال:

- وهل كان يجب أن تدّعي أنني خطيبتك؟

- أتريدين أن يعرف بيير أنك ما زلت حرة؟

عرفت آني أن مارتن يسعى وراء شجار، فأشاحت بوجهها عنه لا ترغب بافتعال شجار معه.. رأت أن الآخرين بدأوا يتوافدون إلى قاعة الطعام لتناول الفطور.. وتحركت نظرتها إلى حيث جلس روبان.. كان على وجهه نظرة هيام يوجهها إلى رفيقته الشقراء، وهي النظرة

عينها التي خدعتها يوماً، وجعلتها تصدق أنه يريد الزواج منها. وبدا واضحاً لها أنه ما جاء بالشقراء إلى هذا المكان المنعزل، إلا لقضاء نهاية أسبوع كالتي اقترحها عليها يوماً. شعرت بأنها ممتنة لخلاصها المحظوظ منه.. لكن ما أثر عليها وجعلها تحس بالغثيان، أن أياً من الضيوف المنتظرين وصول فطورهم يمكن أن ينظر إليها ويظن بها كما تظن بروبان ورفيقته.. فهي هنا مع مارتن لقضاء عطلة شائنة، وحتى لو أنه لاحظ مثلها حرج موقفهما أمام الناس وسارع إلى الإعلان أنها خطيبته، إلا أنها لن تستطيع التحمل.

كان طلبهما لم يصل بعد.. ودون وعي بأن مارتن لاحق نظرتها، سألت:

ـ هل نستطيع الذهاب الآن؟

سأل ساخراً:

ـ ما بالك؟ ألا تستطيعين تحمل رؤيته مع عشيقته الجديدة؟

أحست آني بالدموع تلذع عينيها.. رغم رغبتها في مغادرة المكان، ما زال مارتن يسعى للشجار..

هزت رأسها، وقالت تكاد تختنق:

ـ ليس.. الأمر.. هكذا.

ـ ماذا إذن؟

شكت بأنه قد يفهم.. وتحول صوتها إلى الهمس.. كانت مشاعرها بادية على وجهها حين قالت بصوت هامس متحشرج:

ـ الأمر كله.. قذر.

لم تكن تعرف إلى متى ستتمكن من الجلوس هناك.. لكن قبل أن تتمكن من إطاعة ما تمليه عليها مشاعرها بالخروج، والانتظار في الخارج إلى أن يتناول مارتن فطوره، تغيّرت تعابير وجه مارتن بشكل

عامض.. ثم أرجع لها كرسيها وقادها إلى البهو الخارجي.. هناك ووجهه لا يفصح عن شيء من أفكاره، أعطاها المفاتيح قائلاً:

ـ انتظريني في السيارة.

دون جدال، تركته يدفع الحساب، وأحست ببرودة الريح المتجمدة تلسع وجهها.. حاول أحدهم تنظيف الطريق الممتدة حتى موقف السيارات من الثلج.. عدا عن هذا، كانت المنطقة كلها تحت غطاء أبيض.

بدأت تتساءل أي اتجاه قرر مارتن أن يسلك، فظروف الطريق تبدو خطيرة، حتى بالنسبة لأحرص السائقين.. وقد شغلت هذه الأفكار آني قليلاً عن الإحساس بالاشمئزاز الذي استولى عليها في غرفة الفطور، لحين انضمام مارتن إليها.

قالت بهدوء تعتذر:

ـ آسفة لأنك لم تتناول فطورك.

كانت نظرته، وقد تأخر انطلاق السيارة، قاسية كالطقس.. وتمنت لو أنها لم تزعج نفسها بالاعتذار بعد أن رد ببرود مثلج:

ـ هل هذه هي المرة الأولى التي تشاركين فيها «بمشهد قذر»؟

ردت:

ـ أنت الرجل الأول، والوحيد، الذي أخرج معه.

لكنها لاحظت أنه ما زال مؤمناً، وحسب تعبيره، أنها «كانت تحت أغطية السرير» مع رجل وفي مكان غير الفنادق.. من النظرة غير المتمدنة التي رماها بها قبل أن ينطلق بالسيارة، عرفت أنها مهما قالت فلن ترضيه.

كانت معظم لوحات الطريق مطموسة بالثلج، وتلك المرئية لم تعطها أية فكرة إلى أين سيذهبان.. وأدركت، كسائقة ماهرة، وهما

يزحفان في زحام سير متزايد، أنه سيحتاج إلى كل حواسه كي يصلا معاً بسلامة، إلى أي مكان.

بقيت صامتة لأنها لم ترغب في أن تقول له أي شيء، وليس لأنها تريده أن يركز على القيادة.. لكن مع تساقط الثلج مجدداً وبكثافة، بدا أنهما مسافران على هذه الطريق منذ ساعات، رغم أن ساعة السيارة أشارت إلى مرور ساعة ونصف فقط.. وعادت آني إلى الهواجس في داخلها.

بعد خمس دقائق بدأت تفكّر بأنهما هذه المرة قد يلتقيان بإحدى صديقاته القديمات، وتحول اضطرابها النفسي مجدداً إلى الغضب. لم تعد مهتمة بأحوال الطريق التي يسيران فيها.. ومع تصاعد ميلها إلى المشاكسة، قاطعت تركيزه على القيادة بطريقة عدوانية:

ـ أريد العودة إلى منزلي.

جاءها الرد الحاد الساخر:

ـ وماذا تظنين أنني أفعل؟ أنا أحاول العودة بأسرع وقت ممكن.

بإحباط حقيقي.. صمتت.. لكنها أحست بجرح مؤلم لرده فقد بدا وكأنه لا يستطيع الانتظار ليتخلص منها.

حسناً.. هذا شعور متبادل. وتصاعدت كبرياؤها إلى حدود السخط.. ستكون ممتنة كذلك للتخلّص من رؤيته.. لكن عدوانيتها المتصاعدة خمدت حين أدار مارتن الراديو لسماع الأخبار.. ورأت فكه يتقلص حين سمع أن البلاد كلها في قبضة العاصفة الثلجية ذاتها، وأن هناك إمكانية أن تتجلّد كل الطرقات مع هبوط الليل، وأن الطريق الرئيسية العامة التي يتجه إليها أغلقت..

كانا لدى ذهابهما قد سلكا الطريق الطويلة إلى يوركشاير لأجلها. لكن لم يكن مارتن يقصد أن ترى آني المناظر الريفية، حين قرّر أخذ

الطريق الطويل عينه للعودة.. إذ لم يكن لديه خيار آخر.

مع إحساسها بالجوع، بدأ ضميرها يؤنبها لحرمان مارتن من فطوره.. لكنها كانت تؤمن، أن لديه ما يكفيه من مشاغل لإبقاء السيارة على الطريق بدل أن يفكر بالطعام. لكن، سرعان ما توقف مارتن أمام أقرب مطعم صغير وصلاه.

توقفهما لم يدم طويلاً، فقد أشار إليها بخشونة نحو غرفة السيدات بينما دخل هو ليتدبر أمر بضع سندويشات ليأكلاها وهما على الطريق.. دقائق وعادا إلى الانطلاق، دون دليل على أي انفراج في ظروف الطقس.

كانا قد سارا ببطء لوقت طويل، ظنته آني أجيالاً.. وقالت:

ـ هل أقود عنك قليلاً؟

رد بحدة:

ـ لا.

كان الظلام قد هبط قبل وصولهما إلى مسافة قريبة من هيرتفورد شاير.. لكن الطريق، كما أنذرت التنبؤات، أخذت تتجلد.. وسرها توقّف تساقط الثلوج عندما بدآ يتقدمان جنوباً.

كان منزلها في الناحية الأخرى من لندن.. لكن بدا لها من المنطقي أن يسلك مارتن الطريق الموصلة إلى منزله «كلارندون هاوس» أولاً. فعدا عن أن منزله هو الأقرب، ولا بد أنه يريد الخروج من خلف المقود في أسرع وقت ممكن، فإن عليها أيضاً تأخذ سيارتها من هناك.

كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة حين توقفا أمام منزله.. ووجدت سيارتها مغطاة بالثلج حيث تركتها تماماً.. خرجت من سيارته، وهي تعي أنه إضافة إلى سخطه وضجره، فهو متعب ومتوتر.. ففكرت من باب اللياقة أن تقول له ما يجب أن يقال قبل أن تتركه.

لكن مارتن كان قد سبقها إلى السلم الأمامي العريض، ووضع المفتاح في القفل.. واضح أنه كان يتوقع أن تلحق به، فقد وقف يمسك الباب مفتوحاً لتدخل.. ولم يبق أمامها بديل عن الدخول.

أقفلت الباب خلفها لمنع الهواء البارد من الدخول، ولحقت به إلى غرفة الجلوس، حيث كان يشعل ناراً في المدفئة.

قالت وقد أدار ظهره إليها وهو يضع الحطب فوق النار:

ـ قبل أن أغادر.. هناك شيء..

قال بخشونة يقاطعها:

ـ تغادرين؟ لن تذهبي إلى أي مكان..

فغرت فمها ذهولاً.. لا شك أنه متعب من الساعات الطويلة من القيادة.. لكن، وكما يبدو، لا زال لديه طاقة تكفي، وكان ينوي تنفيذ الاتفاق.. لكنها سرعان ما صححت له تفكيره دون تأخير:

ـ اتفاقنا اكتمل.. لقد سافرت معك كما وعدتك.. وليست غلطتي أن..

ـ إنسي هذا.. فأنا لن أسمح لك بقيادة سيارتك في هذا الطقس.

وتركها ليخرج من باب غرفة الجلوس.. بقيت واقفة تحدق بالباب المفتوح، دون حراك.. حين رفض عرضها بأن تقود عنه، ظنت هذا بسبب رفضه لتسليم سيارته اللماعة لأنثى.. ولكن قلبها أخذ يخفق بسرعة وهي تقف جامدة، وفهمت أنه لا يريدها أن تقود في حالة الطريق الخطر هذه.

لدقيقة كاملة، عاشت آني في عالم الخيال.. ظنّت أن مارتن لم يسمح لها بالقيادة لأنه يخاف أن يصيبها أذى.. لكن المنطق الكريه عاد ليصدمها، يدمّر آمالها..

قال:

ـ بما أنني لم أكن أعرف متى كنا سنصل، أو إذا كنا سنصل أصلاً.. فقد قلت للسيدة راوندي إننا سنخدم نفسنا بنفسنا.

صاحت بحدّة:

ـ اخدم نفسك بنفسك أنت.

في لحظة كانت قد أصبحت خارج الباب الأمامي، تتمتع بفكرة أنّها استطاعت إيقافه عند حده، فهو لم يتحرك ليمنعها.. كانت لا تزال ترغي وتزبد غضباً وهي تزيل الثلج عن زجاج سيارتها الأمامي، ووضعت المفتاح في جهاز تشغيل المحرك.

لم يكن ينقصها سوى أن لا يدور محرك السيارة!

لم تستطع بأية طريقة أن تجعله يدور.. السخط جعلها تنظر إلى الباب الأمامي المضيء للمنزل.. لكنها عرفت أن من العبث انتظار أن ينفتح ليسألها مارتن إذا كانت تريد المساعدة.

أخذت تنظر إلى غطاء المحرك بيأس لدقائق. تعرف أنها بسبب جهلها للمعلومات الميكانيكية، لن تستفيد شيئاً من إزالة الثلج عن الغطاء وإلقاء نظرة إلى المحرك.. لكن الغطاء لا ثلج عليه! ولا بد أن يكون قد انفتح منذ مدة قصيرة، وأن شخصاً ما ألقى عليه نظرة! وعادت إلى إنزال اللعنات على مارتن بحقد شديد.

يا للخنزير! الشيطان القذر! الخبيث الـ..

دفعها غضب لم تعرف مثله من قبل، إلى التوجه إلى المنزل مرة أخرى.. وصفقت الباب الأمامي خلفها لتعلن عن وصولها.

وجدت مارتن في المطبخ، يفرغ علبة حساء جاهز في وعاء للطبخ.. لكن وقبل أن تقول كلمة، قال دون أن ينظر إليها:

ـ سأعيد غطاء موزع الكهرباء إلى مكانه في الصباح.

صاحت بغضب:

ـ إذا كنت تظن ولو للحظة واحدة أنني سأشاركك الفراش هذه الليلة.. فأنت مخطئ.

أنهى صب الحساء في الوعاء بتركيز. ثم نظر إليها ببرود:

ـ لو إنني مهتم بذلك، فسأجعلك راغبة فيه وبسرعة، وأنت تعرفين ذلك.. لكن، بما أن الوقت الذي أمضيته معك كان كارثة من بدايته إلى نهايته، فلا أعتقد أننا كنا سنتشارك في أية لذّة أصلاً.

أحست كأنه صفعها.. خمد كل الغضب فيها.. وكأنه قال لها إنه يفضل احتضان قنفذ شائك عوضاً عنها.. ارتفعت الدموع إلى عينيها، وأحست بالراحة لانشغاله بوضع وعاء الطبخ فوق النار.

لكن كبرياءها لم تسمح لها بذرف الدموع.. هناك مسألة واحدة تقررت.. لا بد أن ما دفعه لنزع الموزع من السيارة، هو خوفه من أن يضطر إلى سحبها من فندق ما على الطريق بعد أن تتوقف سيّارتها.. ومما قاله، فهمت أنه تخلى عن فكرة النوم معها، بل إنه قد يطردها لو حاولت دخول السرير معه.

ليلة أمس بكت دموعاً كثيرة لأجله.. لكن دموع الألم كانت لا تزال في الداخل.. ويجب أن تبقى مكتومة! لن تقترب منه، ولن تساعده.. لكنه قطع أول شريحة خبز بشكل سيء، وحين كان يهمّ بقطع الثانية، لم تستطع أن تقف متكاسلة تراقبه وهو يتعثر في تحضير العشاء.

قالت بصوت مشاكس:

ـ ابتعد عن الطريق.. وأعطني هذه السكين.. اذهب وحرك الحساء على النار، لكن لا تجعله يغلي.

دون جدال، أعطاها السكين وذهب ليحرك الحساء، مما جعلها تعرف أنه لم يرَ جدوى من الجدال العدائي.

تناولا عشاءهما المؤلف من الحساء والبيض المقلي، والجبن والتوست والبسكويت، في المطبخ.. عندما كانت آني ترتشف قهوتها، كانت قد قررت أن هناك مسألة أخرى واحدة يجب توضيحها.. قبل أن تنظف المطبخ وتذهب إلى النوم، عليها أن تعرف أمراً.

سألت:

ـ هل سآخذ الغرفة عينها التي كانت لي يوم الجمعة؟

ـ لا بد أن السيدة راوندي قد أعادت ترتيب الفراش لك.

أوضح لها كلامه أنه قرر منذ ساعات أنها لن تخرج من منزله الليلة، وهذا جزء من التخطيط المسبق دائماً والذي هو جزء من طبيعته.

سألت:

ـ حين أغادر في الصباح.. هل أغادر وأنا واثقة من وعدك.. أنك لن تولي زوجة أخي أي اهتمام عدا ما يطلبه العمل؟

من توهج وجهه، عرفت أنه يتساءل في نفسه.. لماذا بحق السماء يتخلى عن لينور التي حرم نفسه من مرافقتها لنهاية الأسبوع، لصالحها هي.. هي التي جعلته يقضي أسوأ نهاية أسبوع في حياته..؟

لكنه، ولو بطريقة جافة، أعطاها الرد الذي تريد:

ـ أعتقد.. وبما أنك جئت موافقة.. فأنا مدين لك بهذا.

لم يكن من المناسب أن تخبره الآن أنها ما كانت تنوي «المجيء موافقة»، وذلك كي لا تتسبب لنفسها بالمزيد من التعليقات اللاذعة.. لكن بالرغم من تحقيق الغرض الذي أرادته منذ البداية، وهو نجاة زواج كورتيس، دون اضطرارها إلى مشاركة مارتن الفراش، لم تحس بالفرح كما كانت تتوقّع.

قالت بهدوء وهي تحس بثقل في قلبها:

ـ شكراً لك.

إنها تحب مارتن.. لكن في الغد، بعد أن تودعه، لن تراه أبداً.

لاحظت أن مارتن أنهى شرب قهوته، فأخذت فنجانه والصحن مع فنجانها وصحنها إلى المغسلة، وبدأت تضع الماء الساخن في قصعة كبيرة. لكن حين عادت لتأخذ ما تبقى على الطاولة مما استخدماه خلال العشاء، قال لها:

ـ اتركي الأطباق، فستهتم بها السيدة راوندي في الصباح.

نظرت آني إلى رأسه الأرستقراطي وهي مثقلة بتعاسة داخلية.. حين تذكرت كم عانى من تعب وراء المقود شعرت بالحنان.. وقالت بنعومة:

ـ أنت مرهق.. لماذا لا تصعد إلى فراشك؟

كانت تلعن الضعف الذي أبرزه فيها، حين تلقت نظرته الحادة.. وعرفت أنه سيبادرها بتعليقٍ ساخرٍ إذا لم تسبقه إلى الكلام:

ـ أنا لن أترك المطبخ لتجده السيدة راوندي بهذه الفوضى في الصباح.

توقعت أن تتلقى كلاماً بغيضاً لن يسرّها.. لكن، فجأة، رفع نظره إلى وجهها العنيد، وشعرت أن روحه المرحة عادت تتملكه. وكادت تقسم، لرؤيتها ارتجاف أطراف فمه، أنه على وشك الضحك.

بسرعة، ومع تصاعد حبها له مجدداً، أمسكت بقية أدوات الطعام وعادت إلى المغسلة.. وكانت قد بدأت تغسلها حين سمعت صوته يسأل بلطف:

ـ أتسمحين لي بمساعدتك في تجفيف الصحون؟

ارتفعت روحها المعنوية بسرعة.. وشعرت بأن ضحكتها سوف

تنفجر، ثم هزّت رأسها إيجاباً. لكن بسبب خفة الجو المفاجئة، انطلقت بسمتها لتنير وجهها وهي تراه يلتقط منشفة التجفيف.

بفضل جهودهما المشتركة، أنهت غسيل الصحون في وقت قصير.. لكن هذه الدقائق القليلة من المشاركة في عمل ما، جعلتها تريد المزيد من المشاركة.. فقريباً جداً، سيخرج من حياتها.

جعلها وجود مارتن إلى جانبها وهما يخرجان من المطبخ، تنسى أين تركت حقيبتها.. ثم تذكرت أنه كان يحمل الحقيبتين معاً حين تركته لتذهب إلى سيارتها. وتطلعت إلى غرفة الجلوس، لترى الحقيبتين هناك، حيث تركهما ليدخل المطبخ.

أمضت لحظات لتتأكد من أن صوتها لن يخونها ويفضح المشاعر التي تشعر بها، قبل أن تتمكن من القول بخفة:

ـ سأقول لك عمت مساء، وأذهب إلى غرفتي.

ـ وأنا كذلك مستعد للذهاب إلى غرفتي.. هذا إلا إذا قررت كنس البيت كله قبل أن آوي إلى فراشي.

الضحكة التي تمكنت حتى الآن من كبتها، بدأت تظهر أخيراً.. ردت عاجزة أمام روح المرح التي تملكتها، بانفجار ضاحك، وعيناها تلمعان، بينما انفرجت شفتاه عن ابتسامة عريضة.

تلاشت كل مشاعر الرفض منها.. وغمرتها لحظات سعادة قصيرة.. ولم تتخل عنها سعادتها حتى بعد أن تلاشت بسمته ووقف هناك يحدق بعينيها المشعتين وفمها المنفرج.

فجأة، تلاشت ابتسامتها، بعد أن قال وكأنما كانت تنتظره:

ـ وجهك يصبح رائعاً حين تضحكين.

الطريقة الجادة في قوله هذا.. مظهره الجامد.. ثم الخطوة الطوعية التي قربته منها، وكأنما ليتفحص جمالها عن قرب أكثر..

جعل كل ذلك ضحكها يموت . . ليحل مكانه شعور متوتر .

رأت بقلبِ خفقاته كقرع الطبول، أن العينين اللتين تنظران بعمق إلى عينيها، خَلتا من الثلج الرمادي الذي كان فيهما لمعظم اليوم . . بل أصبحتا تشعّان دفئاً . . وكأنها منوّمة، لم تعد تستطيع النظر بعيداً . . وأحست بالضياع، وأحست بتعاظم التوتر فيه كتعاظمه فيها . . مع ذلك لم تستطع أن تشيح بنظرها .

سمعت يتأوه :

ـ أوه . . يا الله ! كم أنت مصدر عذاب لي !

وتحرك ليحتويها بين ذراعيه .

لم تكن تفكر بأن تتجنبه، بل أرادت الإحساس بذراعيه حولها وتحتاج إليهما . . وما إن بدأ العناق حتى لم يعد يتوقف .

أخذ يشدها إليه بشغف . . وأخذ قلبها يخفق لمعرفة أنه، وبالرغم مما قاله، لم يتوقف عن الاهتمام بها . . أحست أنها خائرة القوى، تماماً كما كانت أول مرة . . ولم تستطع مقاومته .

دفعت بنفسها إليه، محتاجة إلى قربها منه، إلى عناقه . . لم تعد تعي متى تحركا إلى قرب النار المشتعلة في الموقد . .

تنفس قائلاً :

ـ حلوتي . . آني .

تملكتها لحظة خجل بينما كانت يداه تشدانها بلهفة . . وتمسكت به في خجلها . أصابعها تشد بقوة على ذراعه، وهي ترتجف، وقلبها يخفق بعنف . . توقف مارتن، والشغف في ابتسامته، ونظر إليها متسائلاً . . همست :

ـ أنا . . آسفة .

بدت الحيرة على وجهه :

ـ آسفة . . حبي الجميل؟

رأت آني أنها كلما أسرعت في الشرح، كلما أسرعت بالإحساس بدفئه مجدداً :

ـ أعتقد أنني . . أحس بالخجل . . قليلاً .

لوت ابتسامة شفتيه، وسألها بحنان :

ـ خجولة؟

لم يعد لديها مبرر كي لا تعترف، وقالت بصوت أجش بسبب عواطفها :

ـ أنا . . لم أكن مع رجل من قبل . . أنا . .

قبل لحظة، كان مارتن ملتصقاً بها . . لكنه الآن لم يترك إنشاً واحداً منه يلامسها . . جلس ينظر إليها وكأنه لا يثق بسمعه . . وكان هذا كافياً لإنذارها بأن خطأ ما حصل .

بدا مارتن وكأن صدمة عنيفة أصابته، وقال بصوت متهدّج :

ـ ماذا . . قلت؟

لن تكرر ما قالت إذا كان هذا سبب ابتعاده عنها . . ولكنه تابع السؤال :

ـ هل سمعت بشكل صحيح؟ هل قلت لي لتوك . . إنك لا زلت . . عذراء؟

نزلت آني من العالم الخيالي الذي أوصلها إليه، أُجبرت على الرد :

ـ أجل . .

رصمتت .

انفجر :

ـ يا إلهي ! أتحاولين القول لي إنك سافرت معي . . راغبة في أن

www.elromancia.com

تشاركيني الفراش مع أنك عذراء . . لمجرد إنقاذ زواج أخيك؟

تمزّقت من الداخل . . وتسمرت دونما حراك أمامه . . بسرعة بدأت تسوّي فستانها وهي تصيح :

ـ لم يكن في نيتي أبداً أن أشاركك الفراش حين سافرنا معاً . . أعرف أنك كنت تظن هذا، لكنني كنت سأرفض . . أنا . .

لكن مارتن كان قد تغلب على صدمته وأخذ يوبخها بغضب شديد :

ـ لقد برهنت عن هذا جيداً . . أليس كذلك؟ لم يكن فيك ذرة مقاومة . .

صاحت بحدة :

ـ حسناً . . لقد أصبح هناك مقاومة الآن!

تحول عالم أحلامها فجأة إلى كابوس . . كان تَذكُّر كيف جعلها تصبح دون مقاومة، أكثر من قدرتها على التحمل . . ولم تعد تستطيع الاستمرار في الوقوف هناك تجادله . .

بكل ما تبقى من كرامة فيها، أمسكت بحقيبتها ثم ركضت هاربة من الغرفة . . وبدأت الدموع تنهمر لحظة أقفلت عليها الباب .

* * *

٨ ـ المخادع

حين فتحت آني عينيها في الصباح التالي، كانت تشعر بأن مارتن غورارد سوف يحتل إلى الأبد مكاناً في رأسها وقلبها . . فقد كان التفكير به يملأ أحاسيسها حتى قبل أن تفتح عينيها .

استبعدت كثيراً أن يفكر بأن يجيئها بفنجان شاي كما فعل آخر مرة أمضت فيها ليلتها في منزله . . لكن الوقت كان لا يزال مبكراً حين اغتسلت وارتدت ملابسها، وأصبحت مستعدة للذهاب إلى عملها .

ارتجفت إثارة وهي تدس ثوب نومها في حقيبتها وتقفلها . واستولى عليها شعور بالخزي لرفض الذكريات أن تتخلى عنها . . وفكرت بتجاوبها المجنون واستسلامها . . أوه . . فقط لو أنها تستطيع مغادرة «كلاريندون هاوس» دون أن تراه!

لكن الذكريات لاحقتها . . ولم تعد تستطيع البقاء في غرفتها، بانتظار صحو الجميع .

لكن بينما هي تغادر غرفتها مسرعة، أدركت أنها ليست الوحيدة المستيقظة . . وما كادت تصل إلى أسفل السلم، حتى تصاعد الاحمرار الساخن إلى وجهها، حين رأت مارتن وهو في طريق عودته من الخارج . . فرفع عينيه ونظر إليها .

دفعتها الكبرياء لأن تنظر إلى عينيه مباشرة، كما جعلتها ترفع

رأسها إلى الأعلى تحدياً، ثم تابعت نزولها.

عندما أصبحت على بعد خطوات منه، رأت أنه كان في مزاج عاصف، ولاحظت اشتداد ضغط فمه لدى رؤية وجهها الأحمر.

قال بخشونة:

ـ سأقول للسيدة راوندي أن تحضر لك الفطور، هل يمكنك التعرّف على طريق غرفة الفطور لوحدك؟

هزت رأسها بوقار.. لكن بعد أن ذهب بعيداً بحثاً عن مدبرة المنزل، حلّ في تفكير آني شيء آخر غير الفطور..

بعد عدة دقائق، كانت حقيبتها على المقعد الخلفي لسيارتها، وكانت تسير بسرعة في الطريق الداخلي المغطى بالثلوج.

كانت حالة الطرقات قد تحسنت ما أن وصلت على بُعد ميل من مكتبها.. لكن في لحظة فقدان للتركيز كادت تسبّب انزلاق السيارة.. وافترضت بأن لينور ستذهب إلى العمل اليوم، وفكرت بأن تتصل بها خلال فترة الصباح.. لكنها فضلت أن تؤجل هذا إلى المساء، لتسمع كيف ستعلّل لينور عدم ذهابها إلى باريس.

صحيح أن هناك الكثير من الصفات السيئة التي «يتحلّى» بها مارتن.. إلا أن آني كانت واثقة أنه لن يتفوه بكلمة أمام لينور عن سبب عدم ذهابه إلى باريس.. كذلك لن يقول كم كانت عطلة أسبوعية «كارثة».. وعرفت أيضاً أنها مهما لفّقت من أكاذيب للينور عن عطلة الأسبوع، فلن يعرف أحد أبداً بالحقيقة من فمها.

أحست أنها بحاجة إلى الذهاب إلى البيت، ودخول سريرها، والبقاء هناك.. فيلزمها الكثير من الوقت لإخراج الألم من داخلها، ولشفاء قلبها.. وتركت العمل تلك الليلة، وهي غير متشوقة أبداً إلى لحظة رجوع لينور ولا للدهشة الزائفة التي ستبديها حين تقول لها زوجة

أخيها إنها لم تسافر إلى باريس.

حين وصلت آني إلى الشقة، رأت سيارة لينور متوقّفة في الخارج، وعرفت أنها لن تنتظر كثيراً.. واضح أن لينور لم تستطع مواجهة الذهاب إلى العمل اليوم.

لكن، لدهشتها، لم تكن الوحيدة التي تنتظرها.. كانت تتوقع أن تبدو زوجة أخيها ضجرة كما كانت هي تشعر.. لكن ما أن أدخلت المفتاح في قفل الباب، حتى انفتح لوحده.. وحين رفعت عينيها التائهتين، رأت لينور تقف هناك مشرقة العينين.. وحولها هالة من السعادة الفائقة، ذكرتها بما كانت لينور عليه ليلة عرسها.

ـ ماذا..؟

وصمتت، غير مصدقة عينيها، والبهجة تتفجر داخلها. بينما تراجعت لينور، ليخرج من وراء الباب رجل طويل أجعد الشعر، وقف أمامها.

قال بوقار:

ـ لماذا لم تكوني هنا يوم الجمعة لاستقبالي يا صغيرة؟

وفوراً رمت آني بنفسها بين ذراعيه، فتغيّر التعبير الوقور في وجهه وظهرت عليه بسمة عريضة.

قالت بصوت متهدّج وهي تعانق أخاها:

ـ ماذا تفعل هنا؟

ـ هذه قصة طويلة.

ـ متى وصلت؟ لماذا لم تخبرنا بقدومك؟ كم ستبقى؟

ضحك كورتيس.. وأجاب الزوجان على كل أسئلتها خلال العشاء.. وبالرغم من أنها لم تسمع بعد خفايا «القصة الطويلة» إلا أنها عرفت واقعين محددين.. الأول هو أن كورتيس ولينور ما زالا يحبان

بعضهما البعض كما كانا دائماً.. والثاني هو أن مارتن غورارد لم يكن سوى جرذ مخادع.

عرفت أن كورتيس، الذي لا يعرف بشغف زوجته برجل آخر، اتصل من المطار صباح الجمعة بلينور، وأخبرها بنيّته الإقامة في لندن لبضعة أيام، ثم العودة إلى البرازيل مجدداً يوم الأربعاء. وما أن عرفت لينور بالأمر، حتى تدبرت عطلة لتكون معه خلال إقامته القصيرة، ووصلت إلى الشقة بعد قليل من وصوله.

وهذا دون شك أمر عظيم، من وجهة نظرهما. لكن، بما أن لينور لم تكن قادرة على أن تكون في المطار مساء الجمعة للقاء مارتن، فهذا يعني أن زوجة أخيها، هي التي ألغت رحلة باريس، وليس مارتن.. وتذكرت آني قوله: «لن أخاطر في أن أقول لها، لديك وقت كافٍ لتمارسي الخداع» فباتت واثقة أن مارتن، ومنذ البداية، لم يكن ينوي تنفيذ ما قال: «سآخذك أنت معي لو أحببت».. فلو كانت لينور في المطار ليلة الجمعة، لكان قد أخذها معه دون أدنى شك.

يا للمخادع! ويا لحظّي! كم تلاعب بها كالغبية! لولا وصول كورتيس، لكان أكمل طريقه مع لينور إلى باريس وهو يرفع رأسه عجرفة.. بينما هي، كانت ستجلس وتنتظر، في غرفة الجلوس بمنزله.

استلقت في فراشها تلك الليلة، ساخطة من الطريقة التي تصرفت بها مع مارتن ليلة أمس.. كانت الوقائع أمامها تدلّها بوضوح على عدم نية مارتن بأن يقول شيئاً للينور، وعلى أنه وجد شقيقة زوجها بديلاً مناسباً، وأنه لم يجد صعوبة في أن يجد لنفسه «شريكة لعب» لعطلة الأسبوع.. كل ما كان عليه أن يفعل ذلك الجرذ المخادع، هو أن يعود إلى منزله، حيث يعرف أنه ما زال يحتفظ ببديل يمكن أن يجلب له

المرح..

إنه يستحق تماماً انقلاب مرحه إلى كارثة.. إنها مبتهجة بأن يكون ما جرى مجرد رواية هزلية.. وتغضنّ جبينها حين تذكّرت كيف أنها لم تقاوم، وأنه هو الذي امتنع عنها.. لكنها سرعان ما تجاوزت هذا الحادث وأخذت تنعت مارتن بالخنزير الوضيع، الكاذب المثير للاشمئزاز.

صحيح إنها بدورها كذبت، لكن لسبب وجيه.. وبما أن كورتيس ظن أنها كانت مع أبويهما، سألها:

ـ كيف حال العجوزين؟

واضطرت إلى البدء بالاختلاق:

ـ إنهما بخير.. لكننا لم نكن في «وايتلندن» في نهاية الأسبوع، بل ذهبنا إلى «الوايلز».. أمي وأبي ما زالا هناك.. أنت تعرف كم يحبان الوديان هناك!

ـ أوه.. هذا يفسر عدم الرد على مكالماتي الهاتفية.

مرت الأيام القليلة التالية متثاقلة.. ومهما ابتدعت آني من نعوت تطلقها على مارتن، فإن حبها له كان يزداد، بالرغم من أنها أقنعت نفسها مرات لا عدد لها، أن طريقة تلاعبه بها يجب أن تقتل كل عواطفها له ما عدا مشاعر الكراهية. لكن لم يحصل شيء من هذا.. ولأنها صادقة فيّ حبها، كانت تكتشف بألم أن هذا مختلف جداً عن مجرد الشغف به..

لكن الأيام التي مرّت ببطء عليها، كانت قصيرة جداً بالنسبة للينور وكورتيس، بل كانت تطير وكأن لها أجنحة. وتدبّرت آني أن تختفي من الشقة قدر المستطاع. لكنها كانت مساء الأربعاء هناك لتودع شقيقها، قبل أن توصله لينور إلى المطار.

حضنته تقول:

ـ أتمنى لك رحلة جيدة.

ـ اعتني بنفسك.

ثم بمحاولة مرح كانت تعرف أنه لا يشعر به حقاً لفراقه عن زوجته قال:

ـ هناك ذئاب شريرة في الخارج تنتظر افتراس فتاة صغيرة حلوة مثلك.

ردت:

ـ حاضر يا جدي.

لكنها كانت تعرف تماماً لماذا كانت تبكي بعد مغادرة الزوجين.. أكانت تبكي لسفر كورتيس الذي لن تراه قبل وقت طويل؟ أم تبكي نفسها، لأنها قابلت أحد أكبر الذئاب وأشدهم شراً ولأن هذا لا يتوقف عن إيلامها؟

كانت لينور، كما هو واضح من احمرار عينيها بعد أن عادت من المطار، تبكي كذلك.. فقالت وهي تدفع عنها ألمها لتعزّي لينور:

ـ تعالي واجلسي.. وسأذهب لأحضر لك شيئاً تشربينه.

هزت لينور رأسها:

ـ أعتقد أنه من الأفضل أن أذهب إلى الفراش.

ومع تصاعد الدموع إلى عينيها هربت إلى غرفتها. كانت لينور قد أخرجت كل الحزن من نفسها في الصباح التالي.. حين انضمت إلى آني للفطور، بدت مسيطرة على نفسها وتمكنت من الكلام دون خوف من البكاء.. لكن، وكما كان مارتن سبب أفكار آني التي أبقتها مستيقظة، فمن الواضح أن كورتيس كان المسيطر على تفكير لينور وكانت تريد الكلام عنه.

قالت آني:

ـ سيمر الوقت بسرعة.

ـ لا أظن أنني قادرة على التحمل إلى أن ينهي عقده.

أحست آني بالخوف، لكن لينور وقد أحست بخوفها ابتسمت وقالت:

ـ لا تقلقي هكذا. أنا وكورتيس لن نتجه إلى محكمة الطلاق. الأمر فقط، ولأنني لست من النوع «البيتوتي» وكورتيس يعرف أنني سأموت ضجراً لو اضطررت إلى لعب دور «المرأة الصغيرة القابعة في البيت»، فقد اقترح أنني لو قضيت عطلة تموز في البرازيل، في أقرب مدينة إلى مكان عمله فيبحث عن عمل مناسب لي.

سألت آني بذهول:

ـ وتتخلين عن عملك في مؤسسة غورارد؟

ـ حسناً.. لن أفعل هذا دون تفكير عميق.

ـ لينور.. حول هذا الشيء.. بينك وبين مار.. مارتن غورارد.

مدت يدها إلى حقيبة أوراقها بسرعة:

ـ يا إلهي أنظري كم الساعة الآن!

لكنها كانت قد سمعت السؤال، وأضافت:

ـ سأعود إلى المنزل مبكرة.. إلا إذا كانت منضدتي مليئة بالأوراق وسنتحدث مطولاً عن هذا في المساء.

تمنت آني لو أنها تواجه ضغطاً في العمل يوازي نصف ما تواجهه زوجة أخيها، خاصة ذلك اليوم.. ففي نهاية يوم عملها، كان عليها أن تعترف أنها وجدت عملها مملاً بشكل غريب.. ليس فقط عملها، بل كل شيء تفعله منذ فراقها عن مارتن غورارد كان يبدو لها مملاً..

كما وعدت، كانت لينور في المنزل مبكرة.. لكنها بدت في مزاج

مفكر . . مرّت وجبة الطعام في حديث ممل، لامست كل المواضيع ما عدا الموضوع الذي كانت تهتم آني به كثيراً . . وبقيت لينور تسرح بعيداً بين وقت وآخر، دون قول شيء .

كانت مؤمنة بأن أفكار لينور مركّزة على كورتيس، وأنها تكره فراقه، وأنها تعاني كفاحاً داخلياً رهيباً في مسألة التخلي عن عملها هنا، لتكون إلى جانبه . . لذا لم تجد آني الوقت مناسباً لتذكر لينور بما قالته عن الحديث حول مارتن .

لكنها اكتشفت فيما بعد أن لينور لم تنس . فحين قالت آني لها :

ـ لماذا لا تذهبين إلى غرفتك وترفعين قدميك إلى الأعلى لترتاحي، وسآتيك بالقهوة؟

ابتسمت لها لينور بمحبة :

ـ أنا سافلة أنانية . . ولا أستحق شقيقة زوج رائعة مثلك .

صاحت وقد أرضاها دفء لينور :

ـ لم أفعل شيئاً سوى عرض أن أحضّر لك القهوة!

بعد دقائق، حملت القهوة إلى غرفة الجلوس لتجد لينور مستعدة لتبادل أطراف الحديث . واضح أن كورتيس كان يحتل أفكارها، فقد تحدثت عنه أولاً، وسرّت آني لهذا . . واشتد ذهولها حين بدأت زوجة أخيها تقص عليها شيئاً من «القصة الطويلة» التي أشار إليها أخوها، والتي جاءت به خلال الأيام القليلة الماضية .

قالت لينور :

ـ في الفترة الأخيرة، كنت متوتّرة وقد لاحظ كورتيس هذا من خلال أحاديثه الهاتفية معي . . كانت كل مخابرة تزيد من قلقه، لذا فكّر أن يأخذ فرصة لبضعة أيام ويحضر إلى هنا بنفسه .

مع أن آني لم تكن تريد من لينور أن تخبرها بأي شيء خاص بينها

وبين زوجها، إلا أنها لم تستطع إلا أن تتساءل لماذا كان كورتيس بحاجة لأن يتصل بها هاتفياً، فهما كانا يتبادلان الرسائل باستمرار . .

وسألت بسرعة :

ـ هل كان يحتاج إلى الاتصال بك لأنك . . توقفت عن الكتابة؟

هزت لينور رأسها نفياً :

ـ لم يكن الأمر هكذا . . بل أكثر . . لأن لهجة خطاباتي تغيرت .

ـ بسبب مارتن غورارد؟

بدا على لينور أنها ستنكر فوراً، وللحظة ظنتها آني ستكون أقل صراحة مما تأمل .

لكن يبدو أنها غيرت رأيها حول الإنكار . مع ذلك فقد تجنبت السؤال بإجابة مضادّة :

ـ لم تكن رسائلي هي السبب الوحيد . . بل رسائلك أنت أيضاً .

ـ رسائلي؟ لكن . . لم أقل كلمة عنك وعن مار . .

ـ أعرف . . لكن حين أخذ كورتيس يدقق في رسائلك، وجد أسباباً أخرى لاضطرابه . . فيما مضى كان ما تكتبينه له يتركز كلياً على ما كنا نفعله، أنت وأنا، معاً . . الأماكن التي نزورها، وأين نتناول الطعام، وتعرفين أكثر مني ما كنت تكتبين . . كان هناك نقص مفاجىء في المعلومات في رسائلك الأخيرة . . وممّا زاد الطين بلّة أن رسائلي له كانت قليلة جداً، كما أعتقد . . وهكذا، لم يعد كورتيس قادراً على تجاهل الإحساس الذي ينبؤه بأن شيئاً خاطئاً يحدث بكل تأكيد .

ـ ولهذا جاء إلى هنا دون أن يتوقعه أحد؟

هزت لينور رأسها، ثم تنهدت :

ـ أوه آني . . لقد بدأت أشتاق إليه . . ولم يمض على غيابه أربعاً وعشرين ساعة .

ابتسمت آني تعاطفاً معها، وابتهج قلبها لرؤية دليل حب لينور لأخيها.. لكن، بما أنهما لم يتكلما بعد عن الحية الرقطاء التي تُدعى مارتن، فقد كانت تحتاج أن تسمع من شفتي لينور أنها لن تنسى بعد اليوم من هو حبها الحقيقي.

قالت:

ـ ذلك.. التعلق.. الذي نما في نفسك نحو مارتن غورارد.. لقد انتهى.. لينور.. أليس كذلك؟

نظرت إليها لينور بوقار.. وظنت آني أنها ستشرح سبب ما كان.. وتوقعت منها أكثر من قول:

ـ كنت حمقاء.. أليس كذلك؟

وكان هذا كل ما عنته بقولها «ستتحدث مطولاً بالأمر» ثم ابتعدت عن الموضوع، وبدأت عيناها تلمعان حماسة.

ـ على أمل أن أحصل على وظيفة في البرازيل، رتبت اليوم أمر أخذ دروس في اللغة البرازيلية.. من الآن وإلى شهر تموز ستريني منكبة بجهد على تعلم البورتغالية خلال أمسيات الاثنين والخميس.

ولم يعد اسم مارتن غورارد يظهر في حديثهما خلال الأيام التي تلت.. لكن إذا كان اسمه لا يقترب من شفتيها فالتفكير به لم يغادر رأسها.

حين لم تصل أية مخابرة هاتفية من أبويها، افترضت آني أنهما قد مددا العطلة. ووجدت من المريح أن يكون لها بضع أيام إضافية للتفكير بما ستقوله لهما.

كانت تقلّب الفكرة في رأسها وهي تقود سيارتها نحو المنزل مساء الاثنين.. كانت تنوي القول إنها لم تتفق معه، وإنها لم تحبه، وإنه لكونه رب عمل لينور، فلم يذكرا لأحد أنهما كانا ذاهبان لرؤية أمه..

لكن مع وصولها إلى الشقة، تلاشت كل الأفكار من رأسها حين استقبلتها أفخم باقة زهور رأتها في حياتها.

للحظات، وقفت تحدق بالزهور التي وصلت إلى خارج الشقة، ثم رمت حقيبة يدها وما اشترته خلال ساعة الغداء، وانحنت تفتش عن البطاقة التي جاءت مع الزهور.

قرأت:

ـ مارتن.

كلمة واحدة.. اسم واحد، ولا شيء آخر. لا رسالة بل مجرد مارتن.. وكان هذا كافياً لجعل قلبها يرقص بجنون.

لعشر لحظات رائعة، طافت آني في عالم حالم لذيذ، وهي تؤمن أن مارتن أرسل هذه الباقة الرائعة لها.. ومما زاد من فرحها، وجعل عينيها تمتلئان بالدموع أنها رأت وردة حمراء وسط الباقة. لكن فرحها لم يدم.. فلقد تذكرت إنها ليست الوحيدة التي تعيش في هذا العنوان.. وهكذا سقطت من عالم الخيال والأحلام، إلى أرض الواقع القاسي.

لكنها لم تستطع أن تستوعب خيبة الأمل القاسية، بالرغم من أن عقلها كان يقول لها إنه لا يمكن أن يرسل لها زهوراً.. مع ذلك كان عليها أن تنظر ثانية لترى إلى من أُرسلت الزهور.. وأدارت البطاقة.. لتكتشف أن الوجه الآخر كان فارغاً.

واستولت عليها الغيرة العمياء.. وقبل أن تعرف ما تفعل، مزقت البطاقة إلى نصفين. لكن أفكارها الغيورة توالت واحدة بعد الأخرى، ورأت أن لا حاجة للاسم والعنوان على البطاقة.. فعنوان لينور أصبح معروفاً لصاحب محل الأزهار..

ها هي قد انتقلت من تحليقها المثير في عالم الأحلام، إلى المعرفة

المريرة، ثم إلى خيبة الأمل.. وتبع هذا بسرعة غيرة لا تقاوم. وكان الإحساس التالي الذي هاجمها هو الغضب الكامل.

كان واضحاً كالنهار أن لينور أخبرت مارتن أنها مهتمة بالبقاء مخلصة لزوجها وأنها ترفض أن تكون لها علاقة معه.. وبما أنه لا يمكن أن يقبل بالرفض أصر على ما يريد.. وليست الزهور سوى محاولة منه لإضعاف مقاومة لينور.

ازداد غضبها لتذكرها كيف من السهولة استطاع أن يضعفها ويضعف مقاومتها.. وفي لحظة، كانت تسير إلى سلة المهملات، حيث كسرت سيقان الزهور وحشرتها فيها وضربت الغطاء بقوة فوقها.. ربما حين لا تفكر لينور به، فقد يفهم عندها أنها حين تقول «لا» فهي تعني لا.

كانت أولى شعلات غضبها قد انطفأت حين دخلت الشقة..

حين عادت لينور، كانت مستعجلة للخروج إلى درس البورتغالية.. لكنها وجدت الوقت لتقف، وتزدرد السندويش والقهوة اللذين حضرتهما لها آني.. فجأة، وبكل رقة، لاحظت رغم انشغالها أن آني بقيت صامتة، فسألتها:

ـ هل هناك شيء ما؟

لم يكن لآني الوقت الكافي لتختار كلماتها:

ـ لينور.. لو.. أن مارتن.. غورارد.. سعى وراءك مرة أخرى.. أنت لن..

قالت لينور بلطف:

ـ أوه.. آني.. حبي.

أمام دهشة آني تقدمت لينور تحتضنها وتقبل خدها وتقول:

ـ انسي أمر.. تلك الحكاية..

والتقطت حقيبة أوراقها المليئة الآن بنوعيات من الكتب الدراسية الجديدة، وأضافت مبتسمة:

ـ ليس هناك سوى رجل واحد لي.. وأنا متزوجة منه.

لم تكد لينور تخرج حتى رن جرس الهاتف. وأحست آني بانخفاض معنوياتها لسماع صوت أمها..

ـ أراهن على أنك ظننتِ أننا هاجرنا.

وتابعت تشرح كيف أنهما استغلا قدوم الربيع ليمددا إجازتهما لتشمل نهاية أسبوع أخرى.. الجزء الذي كانت آني تتخوف منه، هبط عليها بينما كانت أمها تخبرها أن الطقس كان رهيباً خلال أول يومين من الإجازة، وقالت لها:

ـ كنت قلقة جداً من أن يحصل لك ولمارتن مكروه، فالطرقات كانت سيئة جداً.. لكن والدك قال إنه واثق أنكما ستكونان على ما يرام.. وأن مارتن يبدو قادراً على التعامل مع أي موقف قد يواجهه.

ـ هذا صحيح.

ـ هل كانت زيارتكما للسيدة غورارد جيدة؟ كيف هي أمه؟

بدأت بدا آني تعرقان، وقالت:

ـ في الواقع.. لم نقابلها.. لم نبتعد كثيراً حتى رأى مارتن، مع حالة الطقس السيئة والعاصفة الثلجية، أننا قد نعلق ولن نتمكن من العودة يوم الاثنين، فحجز لنا غرفتين في فندق قريب، وعدنا إلى لندن في الصباح التالي.

ـ أوه.. هذا مؤسف! لا بد أن السيدة غورارد قد خاب أملها لعدم رؤية ابنها.. ورؤيتك أنت، بالطبع.

قالت آني بسرعة:

ـ بمناسبة الحديث عن الأبناء.. احزري من كان هنا حين عدت؟

تساءلت آني في نفسها لماذا لم تذكر زيارة كورتيس منذ البداية.. فمع خيبة أمل أمها لأنها لم تره، وإطلاقها السؤال خلف السؤال عنه، ابتعد تفكيرها تماماً عن موضوع حديثها الأساسي.

كانت آني لا تزال تحاول طرد مارتن وباقة زهوره من رأسها بينما هي ترفع الغطاء عن آلتها الكاتبة في مكتبها في الصباح التالي.. ودخلت مارغو كروزر رفيقتها لتسألها رأيها حول الذهاب لزيارة بيرتا سيلرز زميلتهما الأخرى المريضة، بعد العمل مباشرة.

أحست آني بالامتنان لوجود شيء آخر تفكر به.

ـ سأحب أن أذهب.. لقد خرجت من المستشفى الآن.. أليس كذلك؟

ـ خرجت في عطلة الأسبوع.. وتستعيد عافيتها في منزلها.

ومضت مارغو تخبر آني بعنوان سكن بيرتا:

ـ سيبدو من السخف، ونحن نسكن في مكانين قريبين، أن نذهب في سيارتين.. فلماذا لا تتركين سيارتك في الموقف وسأوصلك بعد زيارة بيرتا، ثم آخذك مجدداً في الصباح؟

قالت مارغو:

ـ فكرة عظيمة.. من الأفضل أن أذهب الآن قبل أن يبدأ «اللورد» في الصياح..

يوم الثلاثاء ذاك، انقلب ليكون من تلك الأيام التي يضطر فيها المرء إلى القيام بثلاثة أشياء دفعة واحدة.. وكانت آني مسرورة لانشغالها.. مع ذلك لم يتوقف مارتن عن التسلل إلى أفكارها.. كانت في سيارتها مع مارغو في طريقهما إلى منزل بيرتا، قبل أن تتذكر أنها لم تتصل بلينور لتخبرها أنها ستتأخر في العودة إلى المنزل.

سعدت بيرتا لرؤيتهما.. وعادت روحها المرحة إليها بعد

العملية، وانفجر الثلاثة ضحكاً حين دخلت في وصف دقيق كيف أن حياءها انتُزع منها حين جاء رجال غرباء لم ترهم من قبل، يرتدون معاطف بيضاء وأصروا على أخذ حريتهم معها.

للسخرية، ابتهجت آني بالحديث المرح الذي دار.. وبينما كانت في الطريق لإيصالها، اقترحت مارغو أن تتوقف عندها لتناول شيء يأكلانه معاً، مع فنجان شاي.. ووافقت آني آملة أن إطالتهما المكوث في الخارج، ستساعدها على إراحة نفسها من العذاب الذي يسببه لها حبها لمارتن.

كانتا قرب المنطقة التي تعيش فيها مع لينور حين أدارت وجهة السيارة إلى المنزل، وقالت:

ـ سأمر لأخبر لينور أين سأكون.

كانت تعتقد أن لينور منكبة على دروس البرتغالية الآن.

لكن لينور لم تكن تدرس البرتغالية.. بل كانت تقف عند المدخل الخارجي للمبنى السكني.. ولم تكن لوحدها.

* * *

٩ ـ أكاذيب جديدة

بداية، لم ترَ آني الرجل ولا المرأة وهي تستدير بالسيارة إلى الشارع الذي تسكنه. . لكن رؤيتها لسيارة مارتن غورارد كانت كافية لجعل كل ذرة مرح فيها تتلاشى.

كادت لا تصدّق عينيها، أرادت التأكد من أن السيارة اللماعة الأنيقة هي له، لذا أبطأت سيرها. . عندها فقط رأت مارتن. . ورأت لينور!

ورأتها لينور كذلك، ومن الطريقة التي استدار مارتن فيها بسرعة، عرفت آني أنها لا بد قالت له إن آني هنا. . ولم تنتظر لترى ماذا سيحدث بالتالي. . كانت تشعر أنها تلقت ركلة في معدتها. . وفي لحظة، ضربت قدمها على دواسة السرعة بقوة.

صاحت ماغي:

ـ هاي!

أحست أنها تسببت بإرجاع رأس ماغي إلى الوراء بحدة، فاعتذرت:

ـ أنا آسفة. . كنت على وشك أن أصدم قطة.

ـ أحمد الله أننا لم نصدمها.

بعد دقائق، اضطرت إلى الاستعانة مجدداً بالقطة التي لا وجود لها حين قالت ماغي:

ـ لقد نسيت التوقف عند شقتك.

ـ هذا صحيح! تلك القطة اللعينة انتزعت الفكرة من رأسي. . لا تقلقي، ستعتقد لينور أنني ذهبت إلى السينما مباشرة بعد العمل.

مرت ساعتان قبل أن تفكر آني بأنها ستبالغ في البقاء، إذا بقيت في شقة ماغي وقتاً أطول. . ومع كل إحساسها بالكراهية للعودة إلى المنزل، لم تقبل إلحاح ماغي بأن تبقى أكثر.

بعد أن أكدت أنها ستأتي لتأخذ ماغي إلى العمل في الصباح، خرجت آني لتقود سيارتها ببطء إلى حيث تعيش، وهي تعرف دون أدنى شك أنها لو وجدت سيارة مارتن هناك، فلسوف تقضي ليلها في فندق بدلاً من الشقة.

لم يكن هناك سيارة سوداء لماعة قرب البناء حين وصلت آني. وامتزج الغضب بألم القلب وهي تخرج من سيارتها. . كيف يمكن أن يكون قذراً إلى هذا الحد؟ كيف يمكن أن تكون لينور بوجهين إلى هذا الحد؟ وكيف لها أن تغض النظر عن حبها «المزعوم» لكورتيس وتدعو مارتن لزيارتها؟

دون أن تتوقع وجود لينور في المنزل، دخلت آني وصدمت لرؤية زوجة أخيها تجلس إلى الطاولة وأمامها كومة كتب دراسية مفتوحة. . بدت وكأنها كانت تدرس بجهد طوال المساء.

لكن، وقد خُدعت من قبل أكثر من مرة، لم تستطع آني أن تصدق بسهولة ما تريدها لينور أن تصدقه. . كذلك لم تكن متأكدة من أنها ستتمكن من الكلام مع لينور بطريقة متمدنة. . لكن لينور، وقد رأت تعابير وجهها الغاضب، تركت ما كانت تعمل فيه. وكأنما لا تعرف كيف تبدأ، قالت ببساطة:

ـ ثقي بي. . فقط. . ثقي بي.

قالت آني باختصار:

ـ لقد خرجت معه.

ـ لا.. لم أفعل.

ـ لقد استقبلته هنا! في هذه الشقة التي قضيت فيها أوقاتاً جميلة مع كورتيس!

وكانت الغيرة تتخلل صوتها بمرارة وارتياع.. لكن لينور أنكرت بحدة:

ـ لا! لقد جاء مارتن.. في شأن عمل.. ولم يتخطى عتبة الباب الأمامي.

من الممكن أن تكون آني مجدداً بلهاء ساذجة، لكنها اقتنعت بالنظرة الصادقة على وجه لينور.. كذلك كانت الأوراق الكثيرة المكتوبة على الطاولة إلى جانب كتب الدراسة تدلّ على أنها صادقة، وأن مارتن لم يضع قدمه داخل الشقة.

مع ذلك، حين جادلتها أنه كان أمامهما اليوم بطوله لمناقشة العمل دون حاجة للزيارة، كررت لينور قولها: «آني.. ثقي بي..» وجعلتها المحبة التي نمت في داخلها لزوجة أخيها تميل لتصديق ما قالته لينور: «هناك رجل واحد لي.. وأنا متزوجة منه».

وواجهت دليلاً جديداً في الصباح التالي، على أن مارتن ومهما تلقى من صد من لينور، لن يستسلم.. فما أن وصلت من عملها، ولم تكن قد وضعت بعد مشترياتها من يدها، حتى رن جرس الهاتف.. وكادت تنهار لسماع صوته:

ـ كيف حالك آني؟

كل أنواع المشاعر تسارعت لتنطلق داخل شرايينها في تلك اللحظة.. وكافحت بقوة لتجد شيئاً من السيطرة على النفس كالتي سمعتها في صوته.. لكنها عرفت أنها معركة خاسرة، فهي تريد أن

يحبها مارتن هي فقط.. وكيف لها أن تسيطر على نفسها حين تهاجمها الغيرة، ثم تتبعها الهموم، لينضم الغضب إليهما؟

صاحت عبر الهاتف ساخطة:

ـ أي شيء تريد قوله للسيدة كابلان، يمكنك الإفصاح عنه خلال ساعات العمل! زوجة أخي ليست مهتمة بتلقي زيارة منك في المنزل، ولا بتلقي المخابرات.

رد يسأل بحدة:

ـ وهل قلت إنني أتصل لأتحدث إلى لينور؟

كادت آني تضعف.. كانت تعرف أن الفرح كان سيغمرها لو أنه فعلاً يتصل ليكلمها هي.. لكن الطريقة العدوانية التي طرح فيها سؤاله، أعطتها الصلابة التي تحتاج إليها.. ولم تخف حدة غضبها:

ـ أنت وقح جداً! في أي وقت لا تكون فيه لينور في متناول يدك، تفكر بأن تستخدم تقنياتك عليّ. حسناً.. لدي أخبار هامة لك أيها السيد المغرور الذي يظن نفسه هبة السماء للنساء.. كما سبق وقلت لك.. لقد تلقيت لقاحاً ضد الأوبئة التي تشبهك.. لذا إذا كنت تريد ضمّ اسمي إلى لائحة المتوفرات لك للمستقبل، فدعني أقول لك أن لا رغبة لي الآن، أو غداً، أو إلى الأبد، في أن أكلمك ثانية، أو أراك، أو أن تكون لي بك صلة من قريب أو من بعيد..

في لحظة، صفقت السماعة مكانها.. وفي التالية، كانت في غرفة النوم تبكي حتى كاد ماء عينيها يجفّ.

وبدأت تتساءل عما إذا كان سيأتي يوم تعود فيه الفتاة التي كانت قبل لقائها بمارتن غورارد، وتعود كل مشاعرها إلى مكانها الصحيح.. نهضت آني من الفراش في الصباح التالي وهي تصرّ على أسنانها.. فقد

قررت أنها لن تقضي بقية عمرها تتعذب لأجل رجل لا يستحق أن يضيع أحد عليه لحظة تفكير . . ونفذت قرارها على الفور .

لكن بينما كانت تشتري أغراض المنزل اليومية ساعة الغداء، وبعد أن اشترت شرائح اللحم للعشاء تلك الليلة، أدركت أنها نسيت أن اليوم هو الخميس، وأن لينور ستكون مستعجلة للذهاب إلى دروس البورتغالية، ولن يكون لديها الوقت هذا المساء لأكثر من سندويش .

لكن حين جاءت لينور إلى الشقة، كانت متأخرة أكثر مما كانت يوم الاثنين . . ولم يكن لديها وقت حتى للسندويش . . بل أسرعت إلى غرفة نومها تفرغ حقيبة الأوراق لتضع كتبها فيها .

بعد أقل من دقيقة، انطلق صراخ حاد من غرفة لينور ممّا جعل آني تقتحمها . . كان قلبها ينتفض خوفاً من أن تكون لينور قد تعثرت في عجلتها وكسرت ساقها .

سألت وقد زال خوفها حين رأت لينور تقف على قدميها . . باستثناء نظرة الأسى والخوف التي ارتسمت على وجهها، بدت أنها سليمة جسدياً .

صاحت لينور تخرج مغلفاً كبيراً من حقيبة أوراقها، تلوّح به في الهواء :

ـ هذا . . كان يجب أن أعطيه للمراسل ليوصله استثنائياً .

ـ وهل هو مهم؟

ـ أوه . . من المهم جداً أن يصل هذه الليلة .

بعد أن أخذت تتمتم لاعنة، توصلت إلى قرار لكن على مضض كما هو واضح :

ـ ليس هناك حلّ آخر . . يجب أن أوصله بنفسي .

ـ وهل سيفوتك الكثير من الدروس؟

هزت لينور رأسها بذهول وقالت بحزن :

ـ على الأرجح أنني سوف أخسر كل الدرس، وأنا أريد أن لا أخسر شيئاً، هذا إذا كنت أريد أن أعمل حين أصل البرازيل .

أحست آني بالدفء العميق لما سمعت، وسارعت لتساعد في إنقاذها من أي حرج قد يحدث، حين عرضت أن توصل المغلف بنفسها . . وتابعت لينور بتعاسة :

ـ لا يمكنني تحمل خسارة نصف ساعة من دروسي .

ـ دعيني آخذ المغلف عوضاً عنك . . هذا إذا كان لا بأس أن آخذه .

أجفلت لينور لعرضها، لكنها سارعت إلى الابتسام :

ـ وهل تفعلين؟ أنت رائعة فعلاً .

رمت المغلف على السرير، ووضعت كتب الدراسة في الحقيبة بسرعة . . حين ركضت نحو الباب، أسرعت آني ورائها لتذكّرها أنها لا تعرف العنوان الذي ستوصل المغلف إليه .

نادت ضاحكة :

ـ إلى أين سآخذه؟

ـ العنوان مذكور عليه .

كانت الابتسامة لا تزال على وجه آني وهي تعود إلى الداخل، وإلى غرفة لينور لتأخذ المغلف عن السرير . . افترضت أن الرحلة ستكون إلى منزل رئيس لينور المباشر السيد سايلر، لكن لم يكن هذا هو الاسم الذي رأته بعينين ذاهلتين . فتحت كلمة «سرّي جداً» وبخط لينور «يصل باليد إلى السيد مارتن غورارد فقط!»

جف اللون من وجهها . . ولم تكن بحاجة إلى قراءة العنوان، فهي تعرفه . . وكانت هناك من قبل!

لكن، ولإدراكها أهمية محتويات الظرف، وبما أن لينور كانت

مستعدة كي تخسر درسها لأجل إيصاله، فقد تركت الشقة على مضض وتوجهت إلى سيارتها.

باقترابها من كلارندون هاوس، ومع كل ميل تقطعه، كانت لا تزال حائرة بين الذهاب والرجوع. ولولا تصورها مظهر لينور المرتاع حين تعلم أنها كانت مخطئة بتوكيلها بمثل هذا الأمر الهام، لأدارت سيارتها وعادت من حيث أتت.

حين استدارت إلى الطريق الداخلي للمنزل، وبالرغم من التعليمات الواضحة بأن لا يسلم المغلف سوى إلى مارتن غورارد، كانت آني تأمل من كل قلبها أن تفتح لها السيدة راوندي الباب.

كانت تظنّ أن مهمتها لن تستغرق سوى لحظات، لذا تركت مفاتيح سيارتها في قفل المحرك.. وسارت فوق حصى الطريق التي كان الثلج يغطيها آخر مرة كانت فيها هنا. ثم، ولرغبتها في الابتعاد بأسرع وقت ممكن، تسلقت الدرجات ودقت الجرس.

لم تنتظر سوى لحظات قبل أن تسمع أصواتاً من الداخل.. وفتح مارتن الباب.. كانت تعابير وجهه تدلّ على نفاد صبر، لكنها تغيّرت بعد أن رأى أن المغلف وصل.. مع تغير تعابير وجهه، ذكرت آني نفسها بأن عليها أن تبقي وجهها دون مشاعر ظاهرة.

قالت ببرود:

ـ قالت لينور ان هذا يجب أن يكون في عهدتك الليلة.

ومدت المغلف إليه، وقدماها تستعدان للاستدارة.

لكن عندما أمسك المغلف في يده، لم تصل نيتها في العودة إلى أبعد من الحركة باتجاه الدرج.

وبدأت الفراشات ترفرف في معدتها وهي تحس بقبضته على معصمها.. وأدارها لتواجهه:

ـ بالتأكيد ستدخلين لتناول بعض المرطبات بعد مشوارك الطويل إلى هنا.

رغم العذاب الذي مرّت به خلال الفترة السابقة، غزاها الضعف حالما رأت آثار التوتر والإجهاد على وجهه، ممّا دلها على مدى جهده في العمل لكن وبقدر ما تمكنت من برود، رفضت..

ـ شكراً لك.. لكن لا..

طار الضعف وحل مكانه الحذر بعد أن قال مارتن وهو الرجل الذي لا يقبل الرفض رداً بصوت أجش:

ـ توقفي عن هذا العناد اللعين وادخلي!

لم ينتظر رفضها مجدداً.. ولم تكن مستعدة لشده على معصمها.. ووجدت نفسها تقف في الردهة وهي ترتجف..

قبل أن تلتقط أنفاسها لتسأله ما الذي يظن نفسه يفعل، رمى المغلف البالغ الأهمية من يده دون اكتراث على طاولة الردهة.. وقال متمتماً:

ـ أنت لم تخافي من قبل من دخول منزلي.

وأدخلها عبر الردهة إلى غرفة الجلوس.. هناك ترك يدها.

انهمرت على آني ذكريات أثارتها فيها رؤية ألسنة النار تلعق الحطب في المدفئة.. لقد كان هناك ناراً مشتعلة آخر مرة كانت فيها هنا.. انتزعت أفكارها من الاتجاه التي حاولت أن تتسلل إليه، وحاولت بيأس أن تتماسك.. كان من الواضح أن مارتن يعرف مشاعرها نحوه.. وقال يدعوها:

ـ خذي مقعداً.. وأخبريني ماذا ترغبين في أن تشربي.

نظرت إليه ببرود:

ـ لا أريد شيئاً منك. لن أجلس ولن أشرب شيئاً.

عرفت، من طريقة انقباض فكه، أن تعليقاً ساخراً في طريقه إليها.. لكن رده أثار فيها الحذر الفوري:

- أعرف هذا تماماً.. كما أعرف تماماً ماذا تريدين.. ومن المؤسف أن الرجل الذي تحبينه، ليس من النوع الذي يحب الاستقرار.. أليس كذلك؟

هاجمها الذعر بسرعة، فأخفضت عينيها إلى السجادة.. ولأنه رأى أنها تحبه، جعلها هذا تجفل.. لكن الإحساس الغريزي بالرغبة في الهرب تلاشى حين فهمت أن مارتن لم يكن يعني نفسه بل كان يعني روبان بيير، رغم أنه هو كذلك «ليس من النوع الذي يحب الاستقرار».

رفعت نظرها إليه تستعد لرميه برد حاسم قبل أن تخرج من هناك:

- وكلانا يعرف ما تريد أنت.. أليس كذلك؟ ما تريده هو زوجة أي رجل آخر. وليس زوجة لك.. ويا للأسف أن لينور تحب زوجها كثيراً.. أليس كذلك؟

وهي تتجه إلى الباب أكملت:

- من الأفضل أن تشطب اسم لينور وتسجل أمامه كلمة: «نجت بنفسها».. فمنذ عودة كورتيس..

قاطعها قبل أن تصل الباب:

- أنا لست مهتماً بزوجة أخيك.. وما كنت يوماً.

جعل الإنكار آني تستدير بسرعة، غضبه الذي اشتعل ثانية دليل جديد على حقارته.. وأكمل:

- لم أهتم بها لا قبل عودة زوجها ببضعة أيام ولا بعدها، ولم أنظر إلى لينور كابلان بالطريقة التي توحين بها.

صاحت آني:

- يا إلهي!

لقد تمكن أن يبدو بريئاً كذلك! ولم يرف له جفن وهو يواجهها.. وأكملت:

- هذه ولا شك أوقح كذبة سمعتها في حياتي..

- أنا لا أكذب.. أنا..

تساءلت لماذا يؤلمها أن تسمع منه كذبة فاضحة، فهي تعرف جيداً كم هو معسول الكلام..

- لا.. أنت لا تكذب كثيراً.. ففضلاً عن ملاحقتك لها طوال الأسبوع، يبدو أنك نسيت أنني الوحيدة التي أعرف بأمر مغامرتك التي كنت تنويها معها في باريس.

قال بحدة:

- لم يكن هناك أية مغامرة في باريس.

نظر إليها ساخطاً.. وتصاعد ذهولها. رغم إدراكه أنها تعرف كل الوقائع التي لا يمكن إنكارها، ما زال ينوي الكذب.. وأكمل يعترف:

- صحيح أنه كان هناك رحلة إلى باريس، مخطط لها.. لكن..

قاطعته بحدة:

- احتفظ «بلكن» لنفسك، فأنا لا أهتم بأكاذيبك.

بسرعة أدارت ظهرها له، لكن يدها لم تصل سوى إلى أكرة الباب، حين صاح مارتن بصوت كالرعد القاصف:

- أنا لا أكذب!

كان يمكن لآني، وأذنيها لا تزالان ترنان لعظم صوته، أن تخرج.. لكن، بخطوات سريعة، كان مارتن إلى جانبها عند الباب.. وأمسكت يده بذراعها.

قال بصوت أكثر هدوءاً، ولو أن فيه درجة كبيرة من التوتر:

ـ أوه.. لأجل الله.. تعالي واجلسي وأصغي..

سألت بعدوانية:

ـ ولماذا أفعل؟

لكن مجرد قربه منها.. لمسة يده على ذراعها.. جعلا مقاومتها تخفّ.. وبدا لها أن قدميها ترفضان الحراك إلا في اتجاه الخروج من الباب.. وازداد اهتياجها حين لم يبدُ مارتن على استعداد للابتعاد عنها إلى أن تفعل ما يقول.. ضعفها نحوه هو الذي جعلها تسمح له بأن يقودها إلى الأريكة قرب النار.

لكن حين تراجع عنها، بدا أنه بحاجة إلى بضع دقائق لابتداع أكاذيب جديدة.. ووجدت آني أن لديها ما يكفي من عدوانية لتهاجمه:

ـ حسناً.. لماذا يجب أن أصغي إلى أي شيء آخر تقوله؟

للحظات طويلة نظر إليها بصمت.. ثم، وبهدوء، قال:

ـ لأنني.. خدعتك في عدة أشياء..

ـ تستطيع قول هذا مرة أخرى.

ورأت من طريقة تجعد جبينه أنه لم يتقبّل مقاطعتها له بشكل جيد.. مع ذلك تجاهلها.

ـ أريدك أن تصغي إليّ آني، لأنني أدركت أنني لن أصل إلى أي مكان معك إلا إذا انطلقت من قاعدة صادقة.

أحست بالاختناق غير مصدقة.. يصل إلى مكان ما معها؟ التفسير الوحيد الذي فهمته آني فوراً هو أنه أعلن عن رغبته في علاقة معها، وبكل جرأة! وهل ما زال يسعى وراء لينور بالرغم من رغبته في أساس صادق؟ هل من الممكن أن تكون لينور، لم تقطع علاقتها به بعد؟ أيعقل أن تكون قد فكّرت بطريقة تجعلها تجيء إلى منزله ليتمكن من أن يزودها بقصة مختلقة، يمكن أن تبتلعها بسذاجة تكفي.. لتعذره

وتعذر لينور في السفر معاً في مرات قادمة؟

بدأت أفكارها المتسارعة تتباطأ وهي تذكر كم كانت مقتنعة بحبّ لينور لكورتيس، وبعدم وجود مكان في حياتها لرجل آخر.. رأت بارتباك وتشوش أفكار أن هناك طريقة واحدة لتجد ماذا ينوي مارتن أن يفعل.

قالت:

ـ هكذا إذن.. ربما، كبداية، ولأنك قررت أن تبحر مجدداً في بحور الصدق، ربما تكون صادقاً بما يكفي لتقول لي إذا ما كان المغلف الذي جعلتني لينور أصدق أنه سيقوّض امبراطورية غورارد كلها إذا لم يصل إليك، هو مستعجل وملحّ كما اعتقدت..

لم تعجبه سخريتها.. وعرفت هذا من لمعان عينيه رغم أنها أحست أنه سيقوم بمحاولة لاستغفالها من جديد.. لكنها كانت قد تجاوزت مرحلة الاهتمام بما يحب أو لا يحب.. وهي تنتظر رده الصادق.

* * *

١٠ ـ لا تضحكي

كانت مصممة على أن لا يستغفلها أحد مرة أخرى.. وانتظرت آني طويلاً بينما كان مارتن يتفحص وجهها المتمرد، ورأت أنه يفتش صامتاً عن أفضل طريقة ليمرر ما يريد.

ثم بدأ يقول:

ـ المغلف الذي جئت به كان مستعجلاً.. لكن ليس من وجهة النظر العملية.. فالأمر الأكثر أهمية، هو أنك أنت التي أوصلته.

ـ إذن.. كان الأمر مدبراً.. أنت ولينور فكرتما بإيصالي إلى هنا ونسيتما أنني منيعة ضد فتنتك.. وأنك بهذا ستتمكن من تهدئة مخاوفي حول علاقتكما..

صاح:

ـ لأجل الله اسمعي! أصغي إليّ ولا تصغي لمخيلتك.. ألم تسمعيني حين قلت إنني لست مهتماً بأن تكون زوجة أخيك عشيقة لي؟ أنا لست الآن، ولم أكن يوماً، على علاقة بلينور كابلان.. ولم أفكر أبداً بمثل هذا.

ولأنه بدا صادقاً جداً، انطلق فرح عظيم في نفسها.. لكن آني عادت إلى وعيها بسرعة وتساءلت: أليس هذا سبب مؤامراته.. لخداعها؟

قالت باشمئزاز:

ـ هل تحاول إقناعي أنها لا تعجبك؟

رد بحدة:

ـ لست مضطراً للإعجاب بها، إنها تعمل لي.. أنا معجب بعملها وإخلاصها له.. فهذا كل شيء بالنسبة لي.

بغضب كبتت رغبتها بتصديقه، وقالت:

ـ ولهذا كافأتها على «إخلاصها» بمغامرة باريس..

رأت أنه مستعد للرد على اتهامها، فسارعت تقاطعه:

ـ ولا تقل لي مرة أخرى إنه لا وجود لمغامرة باريس، فلينور كانت تدافع عن قضيتها ساعة غادرت الشقة صباح يوم الجمعة ذاك.. وكنت هناك، وقد عرفت هذا!

صاح:

ـ لا يهمني أبداً ما رأيت.. لو لم يصل أخوك دون توقع لسافرت لينور إلى باريس.. لكن.. ليس معي، قطعاً.

حتى لو لم تكن غاضبة بما يكفي من قبل، فقد تصاعد غضبها الآن إلى السماء لقوله هذا. إنه يحاول جعلها تصدق أن لينور كانت ستسافر مع رجل آخر، ليغطي نفسه.

ـ كيف تجرؤ على أن تنسب الصلة التي كنت تريدها معها إلى رجل آخر؟ لقد شاهدتها مشرقة العينين لأجلك، قبل أن تخبرني عن..

ـ لست أهتم بمدى إشراق عينيها.. صدقيني، مهما كنت قد رأيت فهو ما أرادت لينور أن تريه.. كل ما قالته لك عني وعنها لم يكن فيه شيء من الحقيقة.. بل هو ما أرادتك أن تصدقيه.

صدمت آني لقدرته على قول أشياء كهذه ولكونه يبدو مقنعاً تماماً.. وتساءلت لماذا ما زالت تجلس هناك.

ـ ولماذا تريد لينور أن تجعلني أصدق أنها في طريقها لإقامة علاقة

معك . . إذا لم يكن هذا صحيحاً؟

لم تنتظر رده، وأكملت:

- أوليس من المعقول أكثر، ولأنني شقيقة زوجها، أن أكون آخر من قد ترغب في أن يعرف ماذا يجري؟ لكنها لم تعد تستطيع إخفاء أمرها بعد أن أخذت تعود ليلة بعد ليلة متأخرة إلى المنزل . . .

قاطعها:

- ولهذا السبب بالضبط بدأت كل هذه الفوضى.

قالت بحدة:

- أنت مخادع كثيراً مارتن . . لا أعرف ماذا تقصد . .

زاد ارتباكها حين تقدم مارتن ليجلس إلى جانبها تاركاً فسحة بينهما . . وعرفت عندها من تسارع دقات قلبها حين نظر إليها، أنه مهما بلغ خداعه، فلا فرصة لها بأن تتخلص من حبه.

قال بهدوء:

- وأنا كذلك لم أعرف ما تنويه لينور . . لذلك حين جاءت إلى المكتب يوم الخميس، قابلتها وطلبت أن أعرف كل شيء بالتفصيل، ولماذا تلعب هذه اللعبة.

غرقت في الارتباك أكثر، وظنت أنها تدعوه إلى مزيد من الكذب حين قالت:

- وقالت لك بالطبع.

كما هو متوقع، استجاب لدعوتها:

- بعد بداية مترددة . . لكنها عرفت أنها ستخسر عملها ومستقبلها المهني، على الأقل في مؤسستي، إذا كان ما تقوله أقل من الحقيقة.

استمرت تفتش في ضباب الارتباك لتحاول أن تعرف إلى أين سيؤدي كل هذا الحديث.

- وهل هددت بطردها؟

هز رأسه إيجاباً ثم أضاف:

- ثم انتزعت منها أنها تحب الرجل الذي تزوجته كثيراً . . ولكن بعد زواجهما، ودعا بعضهما خلال أشهر . . كانت تعاني من التعاسة، وكانت خائفة من أن يكون زوجها قد توقّف عن حبّها.

صاحت آني:

- لكن كورتيس يعتقد أنها الدنيا بالنسبة له!

ونسيت مع وضوح هذه النقطة، كم كانت متأكدة من أن مارتن كاذب.

وأكمل يرد عليها:

- تعرف هذا الآن بعد أن التقته مرة أخرى . . لكن من الواضح أن الجهد الذي بذلته بعد ترقيتها للانتقال إلى مكتبها الجديد، إضافة إلى تصميمها العنيد لتبرر صحة قرار ترقيتها، وضعها تحت ضغط نفسي ولم يبق لديها وقت للتفكير المنطقي في حياتها الشخصية.

لحظتها فقط، عرفت آني عذاب التفكير الذي مرت به زوجة أخيها، وتمتمت:

- مسكينة لينور!

قال:

- حين بدأ الشك يتسلل إليها حول حب زوجها لها، خطر لها أن تطير إلى البرازيل لتعرف حقيقة الموقف . . لكن مع تحول تلك الشكوك لتصبح أكثر ثباتاً، توصلت إلى معرفة أنها لن تستطيع أخذ إجازة مع بدء عملها الجديد، وأنّه لو أن الأمور كما تشك فيها، فهي أكثر من أي وقت مضى بحاجة للتمسك بعملها.

رغم القرار المسبق الذي اتّخذته بأن لا تصدق كلمة مما يقول،

أخذت الدموع تلسع عينيها حين فكرت بالعذاب الرهيب الذي مرت به لينور.. ثم عاودتها ذكرى آخر مرة تمزقت فيها بالشكوك، حسب قول مارتن.

يا الله! لقد كادت تصدقه.! كادت تقع في حبائله مرة أخرى! ولم يعد هناك أثر للدموع في عيني آني، وهي لن تضيع وقتاً لتدعه يعرف أنه خدعها لآخر مرة.

قالت ببرود:

- كون كورتيس لم يعد يحبها لم يبدُ أنه كان يزعجها حين ذهبت معك إلى حفلة، ولم تعد حتى الثانية صباحاً.. ولم تظهر عليها دلائل اشتياقها لزوجها حين تلقت باقة الزهور بعد الحفلة.

قال بلهجة خشنة وقد أدرك أن أي لين في لهجة آني لن يدوم طويلاً:

- تقبلي للحظات أن لينور يمكن أن تكون ممثلة ممتازة.. حين تكون في طريق السعي إلى شيء.

لكن آني ليست مستعدة لقبول شيء، ليس دون دليل.. مع ذلك رأت فجأة كل الدلائل على قدرات لينور التمثيلية.. لقد خدعتها تماماً في مسألة ذلك المغلف الهام جداً.. ألم تفعل؟

سألت بارتياب:

- أيمكن أن أسأل.. ماذا كانت زوجة أخي تقصد من محاولة إيهامي بأنها في طريقها إلى إقامة علاقة معك؟

حين جاء ردّه بدّل شكوكها إلى ذهول:

- بما أنها أدركت عدم قدرتها على السفر إلى البرازيل، وكانت يائسة للحصول على اطمئنان حول حب زوجها لها، بدأت تبحث عن طريقة تجعله يعود إلى الوطن مسرعاً إذا كان يحبها.. ووجدت

الطريقة.. عبرك.

- عبري!

- أنت التي أعطيتها الفكرة، بعد خروج الكثير من العاملين معنا إلى وجبة طعام بعد عمل متأخر.. وسألتها ما إذا كنا أنا وهي لوحدنا.. من هنا جاءتها الفكرة بأنها لو زوّدتك بما يلزم حول وجود رجل في حياتها، فلن تضيعي الوقت لتكتبي إليه وتلمحي له. وعلى ضوء هذا، إذا كان يحبها، سيأتي مسرعاً.

بذهول كامل، حدقت به وهي تقول:

- لكن.. أنا لم أتفوّه بكلمة لكورتيس.

بدت ابتسامة صغيرة على فمه، وقال بنعومة:

- بدلاً من هذا جئت إلي.. وأنا، المعارض جداً لمجيء النساء إلى منزلي لمناقشتي في شيء لست مذنباً به، لم أرغب في مقاتلة الشيطان الذي كان يحثك واضطررت إلى مجاراتك.

احمر وجه آني.. وعادت أفكارها إلى أول لقاء بينهما، هذا إذا صدقته، حين قال إنها المرة الأولى التي يسمع فيها بأن له علاقة بلينور! لقد دعته بالخنزير القذر.. ودعاها بالسافلة المهينة. أوه.. يا الله! جزء منها كان يود لو يموت حرجاً، والجزء الآخر يريد أن يفرح لأن الرجل الذي أعطته قلبها، لم يكن الوحش الذي ظنته.

كانت على وشك أن تتوسل إليه وتستغفره لأنها ظنت للحظة واحدة أنه سيأخذ لينور إلى باريس. لكنها فجأة، وكأنما صب أحدهم ماءاً بارداً على رأسها، عادت إلى وعيها!

فجأة لم تعد تريد أن تسمع كلمة أخرى، فقامت عن الأريكة وقالت متصلبة بغضب بارد مثلج:

- هذه عبقرية منك.. لكن.. ليس بما يكفي.

وبقلب محطم إلى شظايا صغيرة، سارت نحو الباب لكنها وجدت أنه سبقها إليه:

ـ ماذا تعنين بقولك.. عبقرية؟

وقفا وجهاً لوجه، ينظران إلى بعضهما. وكانت آني تميل إلى أن لا ترد.. لكن حين أصبح من الواضح أنها إذا لم تضربه على رأسه، وهذا ما كان يغريها، فلن تستطيع الخلاص منه، أجابت:

ـ لقد كدت تجعلني أصدقك.. لكن لسوء الحظ أن مدبرة منزلك كانت تعرف أنك في المطار تلك الليلة. ألم يكن الأمر هكذا؟

انطلق غضب متألم في داخلها وهي تكمل:

ـ ولو كانت لينور في المطار، لكنت سافرت معها وبقيت تضحك طوال الطريق على آني كابلان الصغيرة الساذجة الجالسة في منزلك تنتظرك.

ـ كنت أعرف قبل أن أذهب إلى المطار أن لينور لن تكون هناك.

ردت بغضب وهو يحاول الإمساك بذراعها:

ـ يا إلهي.. أنت تحاول التملص! كل شيء قلته حتى الآن كان من الجانب الذي يمكن تصديقه.. لكن لا تهن ذكائي بمحاولة جعلي أصدق، وأنت من رتب أمر الرحلة إلى باريس لشخصين، أنك كنت تعرف مسبقاً أن المرأة التي ستسافر معك لن تكون في المطار..

ـ لم أكن سأسافر مع أحد.

ردت ساخرة:

ـ هه!

نظر إليها بوحشية:

ـ لمعلوماتك.. السبب الوحيد الذي جعلني أذهب إلى المطار هو وداع فريق عمل مخلص، عمل ساعات لا يعرف عددها سوى الله لإتمام

مشروع الأمان الكامل.

ـ لست مهتمة..

وصمتت.. الجزء منها الذي لا يزال يرغب أن يصدقه، تمسك بها، لتسأل ببطء:

ـ لم تكن ستسافر؟

ـ طلبت منك أن تصغي إليّ آني.. مهم جداً لي.. أن تسمعيني.

لم يكن لديها فكرة لماذا هذا مهم له.. لكن لهجته الناعمة أغرتها بأن تعود إلى الأريكة دون احتجاج. كان احتجاجها الوحيد على جلوسه قربها أكثر.

ـ لا تقل.. لي.. أية.. أكاذيب.

ـ كل كلمة قلتها لك الليلة صحيحة.

لم تجادله، بل جلست تنتظر بوقار ليقول:

ـ كنت أعرف أن الأمر سيكون صعباً، وأنني لن أواجه وقتاً سهلاً.. لكنني قلت لك إنني أستطيع شرح كل الأمور.. وبما أنني أرى أنك لست مقتنعة بأي شيء قلته حتى الآن.. فمن الأفضل أن أعود إلى البداية.

كان قربه منها يؤثر عليها مرة أخرى.. وحاولت العودة إلى حالتها الغاضبة السابقة لكن قولها له «سأكون مسرورة لو فعلت» لم يكن فيه شيء من السخرية.

بدأ دون تأخير:

ـ كما تعرفين.. هناك ستة موظفين أو يزيد كانوا يعملون وقتاً إضافياً في وقت كان يتم فيه تغيير مكاتب الشركة.. ولقد اهتممت شخصياً بما كان يجري. بما أن أشياء أخرى كان لها أولوية أكبر، لم أكن أظهر خلال العمل كثيراً.

- لم تكن تظهر كثيراً؟

- كنت مرتبطاً معظم الوقت.. لذا لم أكن أستطيع أن أعطي الدعم إلا قليلاً. أحياناً، حين كان يفوتني العشاء، كنت أنضم إلى الموظفين لشيء نأكله. ولم نكن يوماً أقل من ثلاثة أو أربعة في هذه المناسبات.

- تقول.. أنك ولينور.. لم تتعشيا أبداً لوحدكما؟

نظرته ردت على سؤالها:

- هذا ما أقوله بالضبط.

رأت أنه لو لم يكن يحاول خداعها الآن، فلا بد أن تكون خدعت من قبل.. لكن، على أمل أن تعرف بالضبط ماذا هناك في نهاية المطاف، ابتلعت أية رغبة في الجدال. حين رأى مارتن أنها لن تقول شيئاً، تابع:

- كنت مع فريق العمل ليلة إكمال المشروع.. وكان الوقت متأخراً.. لكن هذا لم يمنعنا من الذهاب إلى أقرب مطعم لنحتفل.. وفي اليوم التالي أرسلت باقات زهور للمديرتين المنفذتين اللتين اشتركتا في المشروع، وإلى زوجات الرجال المنفذين.

فتحت آني فمها لتصيح بأن لينور قالت إنها ذهبت إلى حفلة معه في الليلة التي سبقت إرسال الزهور مع كلمة «شكراً على كل شيء»، لكن مارتن بدا لها أكثر من صادق، ولم تقل سوى:

- أنا.. مصغية.

- على أي حال.. بدا لي أن وجبة عشاء متأخرة وإرسال الزهور إلى النساء لم يكن كافياً للشكر على كل ما تم إنجازه، فأعطيت الأوامر لصرف المكافآت المالية. لكن بعد تفكير بالساعات التي أمضاها العاملون بعيداً عن عائلاتهم، زوجاتهم، وأزواجهن، عرضت على

الجميع قضاء عطلة أسبوع في مكان ما على حساب الشركة.

انزلق منها السؤال:

- واختاروا.. باريس؟

هز رأسه:

- إنهم زمرة مقربة من بعضها.. في وقت كنت أعتقد فيه أنهم سئموا من بعضهم، فاجأوني باختيار عطلة جماعية في باريس.. ولقد ذهبت إلى المطار لأودعهم جميعاً، ما عدا واحدة.

- لينور؟

- اتصلت بسكرتيرتي لأرى إذا كان هناك أية مشاكل أساعدهم فيها، وتلقيت رسالة أن كل شيء على ما يرام، ما عدا أن زوج السيدة كابلان وصل من البرازيل فجأة وأنها تفضل صحبته. وأنها بدأت عطلتها، وستمددها حتى يوم الخميس المقبل.

اهتزت آني في داخلها.. كانت ذكريات عديدة تضغط عليها لتصدق كل ما يقوله.. رسائل لينور «الغامضة» لكورتيس ورسائلها هي المختصرة له، كلها ساهمت في مجيئه، كما أرادت لينور.. ولا شك في حبها له، وإلا لماذا تتعب كالمجنونة لتتعلم البورتغالية؟

وعت أن مارتن وهو ينتظر أن تقرر ما تصدق، كان يمر بالضغط النفسي عينه الذي تعاني منه. لكن ما لم تستطع آني أن تفهمه، هو لماذا يهمه صدقته أم لم تصدقه، إلا إذا كان ضميره يؤنبه للخداع الذي مارسه ومارسته لينور عليها؟

سألت، تثير المسألة الوحيدة التي لا تنطبق على كل الرواية:

- لماذا.. إذا كان كل ما تقوله صحيحاً.. لماذا.. لم تقل لي لينور بنفسها؟ لقد عاد كورتيس إلى البرازيل منذ أكثر من أسبوع.. فهي

إذاً تعرف منذ الخميس الماضي أنها تستطيع تبرئة نفسها وشرح كل شيء لي دون حاجة إلى تلفيق حكاية بالمغلف لجعلي أجيء إلى هنا.

كانت مقطوعة الأنفاس حين صمتت، وحدقت بمارتن وهو يرد:

ـ لم تقل لك لينور شيئاً لأنني أمرتها بأن لا تفعل. كنت أحاول إنهاء بعض الأمور.. وأحتاج إلى وقت..

ـ أراهن أنك احتجت إلى وقت لتسوية بعض الأمور. مثلاً، كيف ستغطي لينور وسبب عملها المتأخر ليلاً، ثم توقفها عن التأخر منذ تلك الليلة حين عادت في الثانية صباحاً.

رد عليها:

ـ لو أنها بقيت تتأخر بعد هذا، فلا بد أن هذا فقط لإعطاء مصداقية لعلاقة من المفترض أنها تشارك فيها.. والله يعلم أين كانت تذهب.. لكن بكل تأكيد ليس معي.

هزّها الغضب حين تذكّرت صورته وهو يقف مع لينور خارج مبنى الشقة يوم الثلاثاء. وقالت ساخرة:

ـ بالطبع لا..!

وهبت من على المقعد، لتخرج من منزله..

لكنها لم تتجاوز الوقوف على قدميها قبل أن يمسك بها ويجذبها لتجلس مجدداً، وقال راعداً وهو يشد على يديها:

ـ وما الذي دهاك الآن؟

صاحت:

ـ اللعنة عليك! دعني أذهب!

ـ لن أفعل.. ستبقين هنا الليلة.. لأنني استنفذت كل وسائل الاتصال بك.. وأنت هنا كي أتمكن من إجلاء كل هذه المسألة اللعينة.. ولن ترحلي إلى أي مكان إلى أن تزول آخر ذرة شك في

رأسك.. ومن هذه النقطة سوف يكون لنا..

ـ لنا؟ نحن؟

لم يكن لديها فكرة عن كل ما يجري.. لكن كان هناك إحساس مؤكد في داخلها. مهما يكن، فاسم آني كابلان، مسجل ضمن مشاريعه القذرة.. وأكملت:

ـ نحن لا شيء! ولن أصغي إلى أي شيء آخر ستقوله. لن أفعل.. لن أفعل.. لقد سمعت كل ما يجب أن أسمعه منك.. لكنني أفضل أن أصدق الدلائل التي رأيتها.. دلائل في الزهور التي أرسلتها إلى لينور يوم الاثنين، هذا دون ذكر الوردة الحمراء في وسطها.. ولا..

كان الصوت المرتفع الذي أطلقه السبيل الوحيد لإسماعها رغم صراخها.. مما جعلها تصمت وتحدق إليه بذهول.

ـ ماذا قلت؟

كرر:

ـ قلت.. إن الزهور التي أرسلتها يوم الاثنين لم تكن للينور.. بل كانت لك.

ـ لي أنا؟

رغم أنها صدمت لسماع قوله بأن الباقة التي كسرتها بغضب ووضعتها في وعاء المهملات كانت لها، إلا أنها سرعان ما عادت إلى التحدي:

ـ إذن.. لماذا لم يكن اسمي عليها؟

ـ وكيف لي أن أعرف..؟ لقد أعطيت المحل اسمك.

لكنها لم تصدقه وقالت ساخرة:

ـ سوء أخلاق مني أن لم أتصل بك لأشكرك.

ـ لقد عرفت في التاسعة والنصف صباح الثلاثاء انك رميتها في

وعاء المهملات.

- وهل جئت إلى الشقة تلك الليلة؟ لماذا فعلت هذا؟

سخريتها لم تكن موفقة.. وعرفت هذا.. لكنه قال موافقاً:

- لقد جئت لأراك أنت.. قالت لينور إنك ستكونين موجودة، وأن..

انتزعت يدها من قبضته:

- إذن أنت مشارك معها في هذا كذلك.

نظر إليها بسخط.. لكنه كان لا يزال يرى في إقناعها، أمراً مهماً. تعرف آني كم هو نافد الصبر عادة.

قال باختصار:

- إلى تلك اللحظة فقط.. ففي مقابل تعاونها، وعدتها، لو بقيت راغبة في العمل بعد عودتها وزوجها من البرازيل، أن أجد لها مركزاً في مؤسستي وفي المستوى عينه الذي هي فيه الآن.

رمشت بعينيها:

- تعرف أنها تنوي أن تعمل في البرازيل؟ وهل قالت إنها مشتاقة لكورتيس كثيراً بحيث أنها ستغادر انكلترا لتكون إلى جانبه؟

- عرفت أن هذا أمر محتمل، حين انتزعت منها كل المعلومات.. كل ما كنت بحاجة إليه يوم الثلاثاء كي تتعاون معي، كان أن أغريها بإعادة توظيفها.

بدأ رأسها بالدوران:

- تتعاون معك؟

- كنت أحتاج إلى رؤيتك.

- أنت.. تحتاج..

- أرسلت إليك الزهور ثم عرفت أنك لم تستقبليها جيداً.. ساعتها

قلت لزوجة أخيك أن تنسى ما كانت تقوم به من عمل وتأتي فوراً إلى مكتبي.. ولم يأخذ مني وقتاً طويلاً لتوافق على أن تتركني لوحدي معك، حين أجيء تلك الليلة لأراك، مقابل وعد بإعادة توظيفها.

تمنت لو أن دماغها، يمكن أن يستيقظ ليساعدها في فهم سبب رغبته في أن يقول لها ما يمكن للينور أن تقوله بسهولة عوضاً عنه.

- أنت.. أردت.. أن تقول لي.. كل ما قلته الليلة.. شخصياً؟

- أردت إيضاح كل شيء عن كيفية خداعك من قبل.. حين رأيت سيارتك تنطلق بسرعة عندما رأيتني مع لينور خارج مبنى الشقة، عرفت أنك لن تعودي بينما سيارتي موجودة هناك.. وعرفت كذلك أنني سأواجه ما يصعب على الشيطان القيام به للوصول إليك.

- إذن.. كنت تريد التحدث إليّ ساعة اتصلت ليلة أمس.. أليس كذلك؟

- كنت أحاول أن أقول لك هذا.. لكنك كنت طوال الوقت تملأين أذني بما قلته لي.. وعمل الشيطان لم يكن شيئاً يذكر أمام العمل الشاق الذي رأيته أمامي، بعد أن قلت لي إنك لا تريدين الكلام معي أو رؤيتي.. وصفقت السماعة في أذني.

كانت تعرف مسبقاً أي نوع من الرجال هو، وتعرف أن لا داعي لأن تشعر بالجرح.. لكنها أحست به.. مع ذلك تمكنت من الارتفاع فوق الألم.. وقالت له ببرود:

- رتبت أمر ذلك المغلف المستعجل بمساعدة من لينور.

ضاقت عيناه لبرودها:

- عدا عن أن أختطفك، لم أرَ وسيلة لجعلك تسمعيني غير هذه.. لقد اكتشفت.. آني.. أنني لا أرغب.. أن ننتهي هكذا.

للحظات مجنونة، ورغم أنها أصبحت تعرف تماماً ماذا يعني، تجاهل قلبها الإصغاء إلى ذكاء دماغها.. وللحظات لا حصر لها، بقيت عيناها الخضراوان تحدقان بعينيه.. وأفلتت كل المشاعر في داخلها.. لكن تلك اللحظات كانت قصيرة، وعاد رأسها ليسيطر.

فهمت ما يجب أن تفعل.. وقالت ببطء:

ـ هكذا.. إذن..

ما كانت تشعر به نحوه، جعلها تعرف أنها لو لم تخرج من هنا الآن، فإن قواها لن تصمد لتنكر عليه ما يريد.. بصوت مهتز.. قالت:

ـ شكراً لك مارتن.. أقدّر لك هذا كثيراً.. وعلى عكس كل شكوكي، أنت.. على أي حال.. رجل يحترم كلمته.. و.. و.. وإن مخاوفي بالنسبة لك وللينور لم يكن لها أساس.. وكانت دون أساس منذ البداية.

توقفت لتأخذ نفساً طويلاً، بعد أن أحست أن سيطرتها الضعيفة على نفسها ستنزلق.

ـ لكن.. بالنسبة لـ.. إقامة علاقة معك.. أنا.. أنا فقط.. لست..

قاطعها:

ـ علاقة؟

لأن آني تعرف أنها هدف سهل بالنسبة للخداع، لم تكن مستعدة لأن تخدع مرة ثانية.. استدارت تواجهه بصوت متجلد:

ـ قد يكون أمامي الكثير لأتعلمه مارتن.. لكن إذا لم يكن هذا نوعاً من العرض لي، فلا أستطيع أن أفهم ما تريد أن توحي به في قولك «لا أرغب أن ننتهي هكذا».

تأوه:

ـ يا الله! لقد أخطأت في قولي.. اسمعي..

لكنها هزت رأسها:

ـ لقد استمعت إلى كل ما أريد سماعه.

وحاولت الوقوف لكنه منعها. كان لا يزال يرفض تركها وهو يتمتم:

ـ أوه.. فليذهب كل شيء إلى الجحيم!

ثم وبسرعة أكمل:

ـ ما أن نجلي هذه الفوضى الغامضة من الطريق، كنت أنوي أن نسير بروية لنرى.. كيف.. تسير الأمور معاً.

شدت يدها لتحررها منه بقسوة. لكن يديه شدتا على يديها، وأكمل:

ـ بما أنك مؤمنة أنني أستغفلك كثيراً.. يجب أن أتحمل أن أجعل من نفسي أضحوكة أمامك، وأنا أقول لك..

وعلقت الكلمات في حلقه.

لكن مجرد التفكير بأن مارتن قد يجعل من نفسه أضحوكة، وهي التي لا تعرفه إلا في قمة كل ما يفعل، أدهش آني حتى إنها نسيت رغبتها الملحة في الخروج.. وحضرت نفسها لأن لا تضعف ولو قليلاً، وذلك حذراً من أن تكون ضحية مؤامرة أخرى لجعلها توافق على علاقة لا معنى لها.

قالت ببرود مجدداً:

ـ أعترف أن الضحك عليك.. فيه شيء من التغيير.

ـ أعرف أن هذا قادم.. بل وأكثر، مع ذلك صدقيني.. في البداية لم أفكر بأكثر من العبث معك لفترة.. لكنني كنت مخطئاً.. فأنا

لم أتوقع رؤية سيارتك في الخارج، وأنت في انتظاري هنا مع حقيبتك حين عدت من المطار تلك الليلة.. لكنني أخطأت.. كنت مخطئاً تماماً في أخذك معي كما حصل.. لكن..

انفجرت تقاطعه:

ـ أوه.. دعك من هذا! كنت..

قاطعها بدوره:

ـ أقسم بشرفي.. كنت متأكداً أنك لا بد عرفت من لينور، أن لا علاقة بيننا.. وأنني لن أراك يوم الجمعة.. وكنت متأكداً أكثر أنني لن أراك مجدداً بعد أن عرفت بعودة أخيك.

ـ هذا لأنك اعتقدت، ومع ابتهاج لينور لرؤيته، أنني عرفت أن عطلة الأسبوع معك انتهت، بل، ونتيجة لهذا، إني لست مضطرة لأن أسافر معك إلى أي مكان؟

ـ بالضبط.. لكن ما أن رأيت سيارتك في الخارج، حتى عرفت أن تفكيري مخطىء، فأنت لم تعودي من العمل إلى البيت لرؤية أخيك بل إنك لم تعرفي بوصوله أصلاً.

أحست أني باللون الأحمر يغرق وجهها لأنها كانت في منزله، دون أن يتوقع وجودها.. ثم تذكرت الطريقة التي تصرف بها حين عاد، فهو لم يظهر أية دهشة. وأحست مرة أخرى بالغضب يغلي داخلها، ليغمر حرجها وينهيه.

قالت له بغضب:

ـ الفاسق اسم جيد لك. أنت لم تستطع المقاومة.. أليس كذلك؟ لم تستطع مقاومة وجود أنثى تعرض عليك نفسها على طبق.. لم تستطع..

قاطعها:

ـ لم أستطع المقاومة لأنك بالتأكيد لم تعرضي علي نفسك على طبق، وأنني حين كدت أعترف بهذا، وجدت أنني لا أريد.

ـ لقد أحببت التحدي؟

ـ سمي هذا عيباً في طبيعتي.. لكنك كنت بالنسبة لي تجربة جديدة.. ووجدت أن الأنثى السليطة اللسان قد عادت مدعية أنها تنوي تنفيذ الاتفاق، وأنا أعرف جيداً أنها لن تنفذه لو استطاعت.. ثار فضولي لأن أكتشف كم كنت مندفعة لجعلي أنفذ وعدي وفي ذات الوقت، كيف تتملصين من وعدك.

همست من بين أسنانها:

ـ أيها.. القذر.

ـ أستحق هذا.. لكن، ودفاعاً عن نفسي، لم يخطر ببالي كذلك أن تفتنيني إلى ذلك الحد ساعة توقفنا للغداء.. وأنني خلال ما تبقى من الرحلة، كانت تتقاذفني الشكوك حول حكمة ما أفعل.

وتذكرت آني ذلك الغداء جيداً، كانت مفتونة كذلك به.. ولقد ضحكا كثيراً.. فيما بعد وفي غرفة السيدات، عرفت أنها في خطر الوقوع في حبه.. وكانا معاً، صامتين لما تبقى من الطريق. لكن أيكون سبب صمته أنه بدأ يشك في تحول مشاعره نحو الجدّية؟ هذا شيء عجيب.

سماعه يقول إنه افتتن بها أضعفها، وأجبرها على التظاهر بعدوانية لم يعد لها وجود:

ـ لم يكن هناك دلائل على أنك كنت «مفتوناً» حين قلت لي إن فنجان شاي يروق لك أكثر مني.

قال دون الاهتمام بعدوانيتها:

ـ كنت غاضباً جداً لأنك انتزعت نفسك مني، وغضبت من نفسي

كذلك لأن هذا أزعجني. وكنت لا أزال غاضباً حين عدت.. لكن حين دخلت غرفة النوم ونظرت إلى جمال وجهك النائم، غادرني كل الغضب، وعرفت لحظتها ما الذي أثارني.. ما الذي حركني.. وما الذي جعلني أرفض ما كنت أعرف أنه الصواب يوم الجمعة ذاك.. أنا.. كنت قد بدأت أقع في حبك.

نظرت إليه بذهول كلي.. ولو كانت قادرة على التمتمة، لما عرفت ماذا تقول.. لم يكن لديها فكرة عن شيء وقد توقف دماغها عن العمل، وبدأ قلبها يخفق بشدة.. ماذا يمكن أن تقول.. للحظات ضعف طويلة تابعت النظر إلى وجهه الجاد.. فما قاله لتوه كان يتردد صدى وراء صدى في رأسها.. كانت لا تزال مصدومة، حين تكلم مرة أخرى:

- أيمكن أن آمل آني.. وبما أنك لم تستغلي الفرصة التي أعطيتها لك للضحك علي.. كما أستحق.. أنك لا تكرهينني؟

بقيت مصدومة.. تحتاج دون شك إلى تأكيد أنها لم تسيء فهمه.. لذلك فقد وجدت صوتها رغم اختناقه.. لم يكن فيه رد على سؤاله.. بل سؤال منها:

- أنت.. تحب.. تحبني؟

دون تردد:

- أجل.. حتى ولو أنني حاربت هذا الحب فيما بعد، فقد كنت متأكداً منه.. وما أعرفه الآن، أنني إضافة إلى رغبتي بك وحاجتي إليك كما لم أحتج أحداً من قبل.. أريدك وأحتاجك لأشياء أخرى.. أريد أن أحتفظ بك، أن أحميك، أن أقدسك..

سألت بصوت مقطوع الأنفاس:

- أن.. تحبني؟

- قبل أي شيء.. أن أحبك.. أريد أن أبعد عنك كل فكرة أو إحساس بالرجل الذي نبّهني إلى مشاعري وجعلني أشعر بالغيرة حين سمعته يدعوك حبيبتي. أريد..

- روبان بيير؟ هل أحسست بالغيرة من روبان؟

سألها بحدة، والغيرة على وجهه:

- ألا زلت تحبينه؟

- أنا.. لا أعتقد.. انني أحببته يوماً.

- شكراً لله على هذا..

وأمسك يديها بسرعة:

- هل لي أمل معك آني؟ هل لي أمل وقد عرفت كم كنت نذلاً في أخذك معي، وأنني لست الفاسق المزواج؟ أيمكن أن تجدي في قلبك مكاناً.. لتحبينني قليلاً؟

دون تفكير إلى أين يقودها كل هذا، كان كل ما أرادت أن تفعله بعد أن سمعته يقول إنه يحبها، حتى حين كانت تظنه ذلك النذل المخادع، هو أن تقول له إنها تحبه كثيراً.. ولا شيء سيغير هذا الواقع. لكن الخجل، فجأة ودون توقع، أمسك لسانها وألصقه بسقف حلقها.. وكل ما استطاعته هو أن تُطرق برأسها.

سأل:

- هل.. تحبينني.. ولو قليلاً؟

وجدت صوتها، لتقول له مختنقة:

- بل.. أكثر.. من قليل.. أنا.. أحبك من كل قلبي.

في لحظة ترك يديها ليحتويها بذراعيه. وسأل دون أن يقتنع بعد:

- هل هذا صحيح؟ قولي لي إنه صحيح..

أرجعها إلى الوراء لينظر إلى عينيها.

أطاعته برقة:

- هذا صحيح، كان هناك دلائل من قبل.. وعرفت قطعاً أنني أحبك ليلة خرجنا من الفندق الذي كان فيه والداي.

تأوه:

- أوه.. يا إلهي!

وضمها بسرعة إلى قلبه:

- هل مررت بعذاب الوحدة الذي أبقاني صاحياً حتى الصباح؟ وكل صباح؟

- كنت آخذه معي إلى الفراش كل ليلة.

ومرت الدقائق بعد هذا.. وكأنهما يكادان يموتان جوعاً، تعلقا ببعضهما وتعانقا.. كانت تحس بقلبه يضرب ضربات تماثل ضربات قلبها. ولم يتزحزح ذلك الإحساس من مكانه حين قال مارتن متنفساً بصعوبة.

- أوه.. حبي.. أنت تنتمين إلى هنا.. وهنا أردتك أن تكوني في الأسبوع الماضي.. اشتقت إليك وتساءلت ما الذي تفعلينه في شقتك وأنا راغب أن تكوني هنا.. وأخيراً اعترفت بما كنت مصمماً على أن لا أعترف به أبداً.

- وهل لي أن أسأل.. ما هو؟

- عندها عرفت أن الأنثى السليطة اللسان التي اقتحمت حياتي وأظهرت لي، وهي بين ذراعي، أنها المرأة التي أريدها، هي حبّ حياتي.

- ألهذا السبب أرسلت باقة الزهور الجميلة يوم الاثنين؟ كي أتصل بك.. و..

- لقد جعلتني لا أعرف رأسي من قدمي.. كنت أخشى لو أنني

جئت إليك وأخبرتك عن حاجتي لك، أن أتلقى شيئاً لا أريد أن أسمعه.. وقررت أن أصبر.. وأحاول، دون خبرة، شيئاً من التودد القديم الطراز.

- لكنني.. رميت زهورك في صندوق القمامة.

ابتسم:

- كان هذا لأنني لم أرغب في أن أزعجك بالتفكير بأنك جعلت من نفسك مغفلة، ولهذا طلبت من لينور أن تبقى صامتة حول جهودك لإنقاذ زواج أخيك، التي كانت غير ضرورية أبداً. لكن، بحلول يوم الثلاثاء، عرفت أنني إذا كنت راغباً في أن أجعلك تتزوجيني، يجب أن تسمعي الحقيقة مني.. وحين صفقت سماعة الهاتف في وجهي يوم الأربعاء.. عرفت انني إذا لم أفكر بطريقة أخرى، فلن أراك ثانية.. ولن أحصل على موافقتك في أن تكوني زوجتي.

كاد قلب آني يتفجر:

- أوه.. هل طلبت مني لتوك أن أكون.. زوجتك؟

- هذا صحيح.. ألم تفهمي حين قلت لك إنك تنتمين إلي.. انني أعني أنك تنتمين إليّ كزوجة لي؟

- لكن.. لكن.. أنت تتمتع بعزوبيتك.. لقد قلت..

- أعرف ما قلته.. وهو صحيح، كنت أتمتع بحرية الأعزب.. كنت أحاول إقناع نفسي بهذا خلال الأيام الأولى بعد تركك لمنزلي دون فطور ولا حتى فنجان قهوة.. وأنني أريد أن أسير في طريقي كما كنت دائماً.

- لكنك.. اكتشفت.. شيئاً مختلفاً؟

ابتسم.. ليقول وكأنه لا يريدها أن تسيء فهمه بعد الآن أبداً:

- وكيف اكتشفت هذا؟! كانت وجهة نظري حين انتهت عطلة

الأسبوع، أنني حين أعود إلى محيط أكثر ألفة لي بعد ابتعادك عني، سأعود على الفور إلى تعقلي.. لكن أسبوعاً من البعد عنك يساوي سنة بالنسبة لقلبي، يا حبي العزيز.. وفي هذا الأسبوع المماثل لسنة، اكتشفت أن ما ظننته مجرد خوف من الوقوع في شرك، وهو الذي دفعني إلى حجز غرفتين منفصلتين تلك الليلة، لم يكن خوفاً.. بل إحساس بأنني واقع فعلاً في الفخ، ولا أعرف أين أتجه.

ـ وتعرف.. أين تتجه.. الآن؟

ـ لقد سببت لي العديد من ليال دون نوم.. أولها تلك الليلة في غرفة النوم الأخرى هنا.. وأنا الآن أعرف انني لن أستطيع الحياة من دونك، يا قلبي.

تعانقا مجدداً.. ومع مرور الدقائق، وعدم قدرتهما على إنكار حاجتهما لبعضهما، لم يكن في الغرفة صوت سوى طقطقة الحطب المشتعل في الموقد، وهما يسعيان إلى التخفيف من ألم الفراق الذي عرفاه.

وكانت النار تشتعل داخل آني أيضاً. نار انعكست في عيني مارتن، حين تراجع عن عناقها وابتسامة مزاح تلوي فمه.

ـ بالتأكيد، لن تجرؤي الآن على رفض طلبي.. أليس كذلك؟

ضحكت ولم تخجل من تجاوبها.. وتركها مارتن تسترد أنفاسها لتسأل:

ـ وهل سأصل إلى مرحلة «مقابلة أمك»؟

انفجر ضاحكاً:

ـ مثلما سيصل الغد.

انضمت إليه بالضحك، وتمتمت:

ـ ربما ستقول لها عن خطبتنا.

اشتعل الفرح في عينيه لسماعه قبولها طلبه.. وقال متنفساً الصعداء:

ـ أوه.. حبيبتي.. سنفعل أفضل من هذا يا أعز حب على قلبي. سنأخذ لها دعوة إلى حفل زفافنا.

ومع اشتداد فرحه الغامر، احتوى آني مجدداً بين ذراعيه يشدها إلى قلبه.

* * *

www.elromancia.com